ديوان
عبد الحميد الديب
شاعر البؤس

تحقيق ودراسة محمد رضوان

مراجعة وتقديم فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان
عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة : محمد رضوان

مراجعة وتقديم: فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

تقــديم

عبد الحميد الديب

وتر نافر وصعلكة مبدعة

بقلم فاروق شوشة

يا معشر الديب وافى كلُّ مغتربٍ

إلاّ غريبكم فى مصر ما بانا

قدمتم الشاة قرباناً لعيدكم

والدهر قدمنى للبؤس قُربانا

* عبد الحميد الديب *

في معترك التحول الشعرى الكبير ، بين كلاسيكية تترنح وتتهاوى ، ورومانسية ثائرة جامحة متمردة ، بين شعر شغل طويلا بخارج الإنسان : شواغل واهتمامات وعرض حياة وشعر يصطبغ بالوجدان ، ويأخذ عنه شهادته على إبداع جديد وليد . فى أتون هذا التحول العنيف ولدت شاعرية عبد الحميد الديب وترا نافرا فى قيثارة الشعر ، وصوتا مغايرا للمعهود والمألوف من معجم الشعراء ، وعريا كاملا - حتى إحداث الصدمة أحيانا - من مواضعات العصر وطبقية تصنيف الشعراء ، وسيطرة المفهوم المتوقر للمعجم الشعرى .

ولم يكن عبد الحميد الديب يمتلك من مقومات هذا الموقف - النافر والمغاير - غير بضاعة شعرية يمكن أن تصنف داخل إطار السياق العام ، من حيث التكوين والتأهيل ، والانتماء الحميم للموروث الشعرى - شأن شعراء جيله - لكنها وهى الدالة على نموذجه الكلاسيكى ، أتيح لها من جوهر روحه وتمرده ، تلك النار المقدسة التى يقدر لها أن تتوهج وأن تشتعل بها عبقرية شعرية مغايرة ، شغلت حتى النخاع بتقييم ذاتها وذوات الآخرين ، وحظها المتدنى وحظوظ الآخرين ، فكان وعيها العميق بالتفوق ، بالرغم من دونية الوضع الاجتماعى والإمكان المادى ، مطلقاً لهذا المارد الشعرى الذى يجرف فى طريقه - بوعى وبدون وعى - الأصدقاء والأعداء ، حتى ليصبح خطراً داهماً يتهدد كل من يعرفه ويلتصق به ، لن تشفع له صداقة ، ولن تغفر له مكرمة سابقة لأن الذى يتفضل به الآخرون من فتات هو بمنطق الديب استرداد لبعض ماله من حقوق قبل الحياة قبل أن تكون حقوقاً قبل البشر ، ومن رد اعتبار لشاعريته وفنه - وما أشد اعتزازه بهذا الفن وهذه الشاعرية إلى درجة المغالاة - إذن لا فضل لأحد عليه ، كلّ فضلٍ يصبح دون ما يستحق وكل تكريم يصبح أقل من قدره ومنزلته والذى يعطى ليس بأفضل ممن يأخذ بأية حال من الأحوال .

نحن إذن أمام صورة شديدة العصرية للشاعر الصعلوك فى موروثنا الشعرى القديم . الصعلكة فى حقيقتها ليست مجرد فقر أو إعدام ، وليست مجرد المبيت على الطوى أو ربط الحزام على البطن أو اضطرار صاحبها إلى أن يستف ترُب الأرض ، لكنها - أولاً وقبل كل شئ - التمرد على هذا كله ، والعزم على تغييره . الصعلكة إذن روح عارمة لاجتياز حاجز الفقر ، المادى والوجودى ، وإرادة إنسانية واعية بالحق الذى ينبغى أن يكفله المجتمع لأبنائه من هنا فقد ترددت فى شعر الصعاليك : عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم فكرة الحق والحقوق ورد الحق إلى أصحابه وأخذ الحق لمن لم يستطع أن يصل إليه .

يقول عروة :

أتهــــــزأ منــى أن ســـــــمنت وأن تـرى
بجـــــســـمى نحــول الحـق والحق جــــاهدُ
وإنى امـــــرؤ عـــــافى إنائـى شـــركـــــة
وأنـت امـــــرؤ عــــافى إنـائك واحـــــدُ
أقـسّـم جـســمى فى جـســوم كـثـيـرة
وأحـــــســــــو قــــــراح المياء والماء بـاردُ

ويقول أيضاً :

ألـيس عـظـيـــمــــا أن تلـم مـلمـــــة
وليـس علـينـا فى الحـــقـــوق مُــعـــوّل
فـــإن نحـن لم نملـك دفـــاعـــا بحـــادث
تُـلـم بـه الأيـام فــــالمـوت أجــــمـلُ

الصعلكة إذن هي هذه الروح المتمردة التى منحها التمرد شجاعة خارقة وقدرة أسطورية وموقفاً نادراً من أجل تحقيق الحق واسترداد الحقوق . وهى التى جعلت شعر هذه الزمرة من الخارجين على قانون ذلك الزمان – قانون القبيلة وأعراف المجتمع وتقاليده – مغايرا للشعر القديم في نسقه المألوف ، المساير للتقاليد والصنعة الفنية معاً . وهى التى جعلت القدماء يسمون هؤلاء الصعاليك باللصوص ، وأحلاس الليل ، وقطا ع طريق القوافل ، وغيرها من التسميات التى توقفت عند العرض الخارجي دون أن تنفذ إلى المعنى الأعمق ، إلى الجوهر الوجودى والإنسانى لفعل الصعلكة وشعرها المغاير .

عبد الحميد الديب واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك – بهذا المعنى – تأخر به الزمان . لكنه ينحدر من أصلاب عروة والشنفرى وتأبط شرا والسليك . ويعيش روح الصعلكة باعتبارها تمردا على التقاليد وعلى الواقع ، كما عاشوها وليس بوصفها مجرد حرفة أو محارفة ، أو مجرد خلو جيب أو جوع معدة أو لسعة ظمأ إلى شراب .

من هنا هذه الروح المتكبرة العاتية التى يمتلئ بها شعره ويتوهج ، لأنه يرى نفسه دائماً أعظم ممن يقصدهم ، ويرى شعره أرفع مما يكتبه شعراء التقاليد المستأنسة والمسيطرة التى تحقق المنفعة ، والقيم التى تؤازر المصالحة ولا تعمق شقة الخلاف أو الصدام أو الخروج على المألوف .

يقول عبد الحميد الديب :

يا أمــــة جـــــهلتنى وهى عـــــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشـــــــراقى
أعــــيش فـــــيكم بلا أهـلٍ ولا وطـن
كـــعــــيش متـــجـع المعـــروف أفّـــاقِ
وليـس لى مـن حـــبـــيب فـى ربوعكمـــو
إلا الحـــبـــــيـــبين : أقـــلامـى وأوراقى
ريشت لحظّى ســـهـــام من نميـــمـــتكم
فـــصـــارعــــتنى ومـــالى دونهـــا واقِ
لم أدر مـــاذا طعـــمـــتم فى مـــوائدكم
لحم الـذبيـــحــــة أم لحـــمـى وأخـــلاقى !

هذا الأفق الشعرى والإنسانى الذى حرص عبد الحميد الديب على أن يتوجه إليه ويرتفع بتمرده وعناده وإصراراه وأحيانا بهجائه المقذع ، وأبياته العارية التى أتيح لها انتشار واسع وذيوع صيت حتى لقد حفظها الكثيرون باعتبارها جوهر شعر الديب وشهادة إبداعه الشعرى ، هذا الأفق ضمن للديب تفرّده ، واتساع إهاب شعره الكلاسيكى لروح عصرية شديدة الحرارة والتوهج ، فكأن شعره جاء شهادة على أن الخمر الجديدة تضفى على آنيتها رونقها المغاير ، وتجعل لها حضورا فنيا وتشكيليا مخالفا للسائد والمألوف .

يقول الديب :

شكوت ، وما شكواى ضعف وذلّة

فلست بمستجد ولا طالبا يدا

ولكننى أفحمت ظلما بمنطقٍ

من الدهر ، لم تبلغ غباوته مدىً

دمى دم أكفاء الحياة ونظرتى

بها للمحيط الضخم لا الطلّ والندى

وهو يرى فى نفسه وفى شعره عونا للهيف وغوثا ونصرة للمحتاج وهذا دليل على روح الصعلكة بمعناها الحقيقى وفى جوهرها الفروسى النبيل عندما يقول :

أأسجن من عون اللهيف وغوثه

ونُصرتى المظلوم سجناً مؤبدا

أيبتئسنى قومى ، لأنى شاعر

أهلهل فى الآلام شعرا مخلدا

وشدت كما شاد النبيون شرعة

تنزل فيها الوحى شعرا مردّدا

وقلت وقال الناس ، لم يبق قولهم

بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا

حتى يصل إلى ذروة الموقف الوجودى والشعرى فى قوله :

يمينا لئن لم يؤمنوا بقضيتى

لأمضى إليهم سهم ظلمى مسددا

سـأرقب عـدلاً من قـضـاتى ، فـإن أبوْا

أبت قـوتى فى الهـجّـو أن تـتـقـيـدا

ولنتوقف قليلا عند هذه الأبيات ، هى أولاً تذكرنا بنفس المتنبى ، شاعر العربية الكبير ، فى قمة زهوه واعتداده بنفسه ، وإحساسه بقدرته الإبداعية المغايرة لكل ما عداه ، ولكل شعراء زمانه حين قال من البحر نفسه والقافية نفسها ، وكأن عبد الحميد الديب فى فورة زهوه بذاته وشعره متابع للمتنبى دون أن يدرى فى قصيدته الشهيرة التى يخاطب فيها سيف الدولة :

أجـزنى إذا أنشـدت شـعـرا ، فـإنما

بـشـعـرى أتـاك المادحـون مـرددا

ودع كل قـول غـيـر قـولى فـإننى

أنـا الطـائر المحكىُّ والآخـر الـصـدى

ومـا الدهـر إلا من رواة قـصـائدى

إذا قلـت شـعـرا أصـبح الـدهر منشـدا

لنتأمل الآن ثانية الديب وبيتيه الجريئين المتمردين :

وشـدت كـمـا شـاد النبـيـون شـرعـة

تنـزل فـيـهـا الوحـى شـعـرا مـردّدا

وقـلت وقـال الـناس لـم يـق قـولهـم

بيـانا ولا سـحـرا ، فـأربيت منشـدا!

أليست هذه روح المتنبى وكبرياءه ، ولغته ، وغلوّه فى زهوه بقيمته وقدره ومنزلته ! أليس المتنبى بدوره واحدا من هؤلاء الصعاليك العظام الذين عبروا ذاكرة الشعر العربى ، وتركوا فيها كلماتهم الباقية لامتلائها بهذا التوهج وهذا التمرد وهذه المغايرة فى الأفق وهذه الثورة على السائد والمألوف ، على التقليدى الميت الخالى من كل روح ؟

بلى ، هى فعلا . بل هو يذكرنا بمن هو أبعد من المتنبى وأسبق ، بالمهلهل الذى قيل فيه إنه سمى بهذا الاسم لأنه أول من هلهل القصيد ، أى أول من أحكمه وجعل له بنية تحكمه ونظاما يمضى عليه ، ألم يقل الديب :

أيئسنى قومى ، لأنى شاعر
" أهلهل " فى الآلام شعرا مخلدا

هذه الهلهلة التى يشير إليها عبد الحميد الديب ، هى الترجمة الحقيقية والإفصاح الجهير عن شعوره بالتفوق والريادة . وهذا الإفصاح الذى داخلته المبالغات وتضخم الذات هو رد الفعل الحاد لشعوره الداخلى - بينه وبين نفسه - بأنه الأزهرى الذى لم يكمل تعليمه ، والأديب الذى لم يتح له وضع اجتماعى يحترمه به الناس كغيره ممن هم أقل قدرا ، وأتيحت لهم المناصب وتحقيق المآرب وتسنم سلّم الرقى الإجتماعى والمادى من حيث الحيثية والأهلية بينما قعدت به ظروفه عن نيل بعض ما نالوه ومواجهة العوز بسلاح الدخل الثابت الآمن ، والمستقبل بيقين المطمئن الهانىء البال .

وبالرغم من فقره وعوزه ، فإنه لم يسلم من ناهشى العرض والشامتين فيه . وبقدر شكواه من هؤلاء ، فإن الشكوى تشف عن وجه آخر للأمر وتنم عن تقدير داخلى لذاته . إن الناس لا تتناول بألسنتها الحداد إلا من كان له وجود وقدر وأهمية أما ساقطو المنزلة فلا يلتفت إليهم أحد . بل ربما كان هذا الشعور الذى يلاحقه ويطارده من كراهية الناس له وحقدهم عليه وشماتتهم به حافزا لتعاليه ومفجرا للمزيد من إبداعه الشعرى :

أمرّ على المقهى ، فأسمع شامتاً
يمزق فى عرضى وآخر يشفعُ
وقد ساء ظنى بالعباد جميعهم
فأجمعت أمرى فى العداء وأجمعوا

وينفجر الجرح ألماً نازفا وشجىً كاويا ، من خلال صياغة شعرية محكمة - هى جوهر الصياغة الكلاسيكية وتقاليدها العريقة الراسخة - وكأن الديب يذكرنا بكبار المبدعين الذين مزقتهم أسنّة الجحود والتنكر على تعاقب الأزمنة واختلاف الناس ، فتعانقتا أرواح ابن الرومى والمعرى فى القدماء وحافظ إبراهيم والشابى فى المحدثين عندما يقول :

مــــا بال من عــــرفــــوا أليم خـــصــــاصــــتى
ورقـــيق حــــالــى ، ليس فــيـهـم مُــســـعفُ
من كــــــان يـقـــــدر أن يـفـــــرّج كــــربـتى
ويـنـيـب مــــــدمـــــعــــــه فـظـلـم مـنـصـفُ
يتــــمــــتــــعــــون بمدمــــعى وشـكـايـتى
والـبـــــدر سـلـوى للـورى إذ يـخـــســـف
ولـربمـــا غـــــــــــدت المـواجـع سـلـوة
للـمـــــتــــرفين ومـــتـــعـــة لا تـوصف
ولـقـــــــد تـسـلّى الـعـين وهـى قــــريـرة
بمن اغـــتـــدى فى قـــيـــد سـجنٍ يـرسفُ

حتى نصل إلى قوله :

أأرى ذئـابـاً ؟ أم صـــــحـــــابـاً ؟ إنـهـم
وجــمـــيـــعـــهم فى الخطب لم يتــعطّفــوا
بار "الـلـواء" جــمــعـت بعض كـــتـــائب
والحـــقـــد فــيــهم مـــســتـــبـــد مـتـلفُ
وقـــفـــوا كــــمـــا وقـف الزمــــان بمحنـتى
لدمـى البـرئ جــمــيــعــهم يسـتـنزفُ
أأعــيـش بينـهـمـــو شـقـيـاً مُـعـدمـا
وهـمـــــــو غنىٌ نـاعـمٌ ومــــــوظـف !

لقد أتيح لعبد الحميد الديب أن يشهد التحولات الشعرية الكبرى فى زمانه : انحسار الكلاسيكية بعد رحيل علميها الكبيرين حافظ إبراهيم ثم أحمد شوقى ، واشتعال المدّ الرومانسى ممثلا فى جماعة أبوللو التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ وأعلن عن قيامها قبل رحيل شوقى بأيام قليلة ، وما أثارته جماعة الديوان منذ نشر كتاب الديوان لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى فى مستهل عشرينيات القرن وانضمام عبد الرحمن شكرى بعد ذلك إليهما فى الفكر والنظرة الجديدة إلى الشعر التى لا تعترف بشعر المناسبات الخارجية - الذي اهتم به الكلاسيكيون - وتدعو لشعر الوجدان الذى وجد نموذجه أولاً فى شعر المهجريين من أمثال جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبى ماضى وآل المعلوف ثم فى شعر الرومانسيين من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل وأبى القاسم الشابى ومحمد عبد المعطى الهمشرى وغيرهم . وكان الديب أكثر اقتراباً من حيث الصيغة والشكل إلى النمط الكلاسيكي للقصيدة ، لكنه في الوقت نفسه كان خليطا من أصداء الديوان والمهجريين والرومانسيين من حيث اللغة الشعرية والخيال المجنح والقدرة على التصوير والمبالغة فى التعبير عن إفضاءات الذات والوجدان . من هنا فإن قارئه المتأمل تستوقفه طيلة الوقت القفزات والانتقالات من جهارة الأداء الكلاسيكى - كما فى شعر حافظ إبراهيم خاصة فى هجائياته الاجتماعية ووطنياته - إلى تدفق الأداء الرومانسى ونعومته - كما فى شعر ناجى وعلى محمود طه والشابى - وإن كان الأداءان يجيش فيهما نَفَسُ عبد الحميد الديب المتمرد الثائر ونزعته الحادة العنيفة المفعمة بالسخرية والهجاء ، حتى لوقادته إلى الإقذاع والتورط فى معجم شعرى يصدم ذوق القارئ ويتعارض مع الآداب العامة .

ويصدق هنا على شعر عبد الحميد الديب ما يصدق على شعر مجايليه من الشعراء - أصحاب الثقافة الأزهرية فى أول الأمر الذين تجاوزوا هذا الأفق إلى ثقافة عصرية وآفاق أكثر انفتاحا واستنارة ، واهتمام بالقضايا الاجتماعية والوطنية - من أمثال أحمد مخيمر وطاهر أبو فاشا والعوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى (الذين عرفوا باسم جماعة شعراء العروبة التى كان يرعاها دسوقى أباظه باشا ويتعهد أعضاءها على المستويين الإنسانى والأدبى لفترة طويلة من الزمان) . وكان الديب صديقا لهؤلاء الشعراء وقريباً منهم بحكم النشأة والتكوين والمزاج والثقافة ، لكنه كان يختلف عنهم من حيث الحرص على عدم الانتماء أو الالتفاف حول شخصية بعينها مهما كبرت وعظمت ، وهو الموقف الذى عرّضه لمواجهات قاسية مع أعباء الحياة وتكاليفها ، لكنه آثر هذه المواجهة على الانضواء أو المشاركة فيما رضى به الآخرون .

ذلك أن عبد الحميد الديب أقرب إلى نموذج الثورى اللامنتمى أو الثورى

الفوضوى الذى يرى سعادته فى الهجوم الدائم والنقد اللاذع والخروج على المواضعات والتقاليد أكثر من حرصه على المشاركة والالتفاف والمؤازرة والتأييد . وربما كان هذا الموقف سببا فى امتلاء شعره بوهج افتقده شعر نظرائه ومجايليه ، أشعلته نيران المحارفة وشكوى الزمان والتمرد والاستعلاء وعدم الرضا والسخط الدائم والتغير من حال إلى حال ومن موقف إلى موقف ومن صديق إلى صديق . فأصبح شعره – فى جوهره – مرصدا لتقلبات النفس الإنسانية الثائرة المحبطة ، التى أيأسها تكسر النصال على النصال ووقع الخطوب على الخطوب ، فأصبحت كالحيوان الشرس الجريح المحاصر ، لا يمل التهديد بالمزيد من العدوان والإفتراس والتوحش بالرغم من أنه ينزف وينزف حتى الموت ! .

* * * *

يبقى أن ما قام به الأستاذ محمد رضوان من جهد فى تجميع شعر عبد الحميد الديب من مظانه ومصادره المختلفة وتحقيقه ، يستحق الإشادة والتنويه . فهذه هى المرة الأولى التى يطالع فيها القارئ شعر هذا الشاعر الظاهرة الذى أصبح جزءا من النسيج الحى للوجدان الشعبى بالإضافة والمبالغة والشطط فى الوصف والتناول ، وهو ما حدث من قبل لشخصيات عديدة شغل بها الخيال الشعبى وجعل من صورتها أقرب شبها بالأساطير كما حدث لشخصية الزير سالم وجحا وأبى نواس وأبى دلامة وغيرهم من الشخصيات الأدبية وغير الأدبية . وعبد الحميد الديب – نجح بفضل شخصيته – ذات العناصر المعقدة المتشابكة والطابع المأساوى وتجسيده لروح الصعلكة بمفهومها المتمرد الثائر وبفضل شعره النافذ كالسهام المدببة كأطراف الرماح الوالغ فى الحرمات والتقاليد وكل ما هو سائد ومألوف – نجح فى أن يصبح شخصية شعبية ، يضيف لها الرواة من خيالهم ومن إبداعهم ، ويلفقون له من المواقف والحكايات ، ومن الأشعار التى تُنسب إليه ولا ندرى هل هى من وضعهم أم من تأليفه ما جعل منه مثارا للفضول وإغراء دائماً بالتعرف والمكاشفة تماما كإغراء الفضيحة أو الحكايات العارية لذوى النفوس الراغبة فى المزيد ! .

من هنا فإن مهمة الأستاذ محمد رضوان لم تكن بالسهلة الميسورة ولا أظنه قد وضع بين أيدينا كل ما تركه الديب من شعر ، فبعضه مات بموت من كانوا يحفظونه ويروونه من أصدقائه وندمائه وفى مقدمتهم كان محمد مصطفى حمام وشوقى أمين وطاهر أبو فاشا . لقد كان بعض شعره – لخروجه على المألوف واصطدامه مع الذوق العام والحياء العام – محفوظاً داخل الصدور غير منشور أو مطبوع . ولقد كان هذا الشعر سبب شهرة الديب وذيوع صيته ، وحرص الناس على روايته والتلذذ به ، كما

كان فيه أيضا بعض ذُرى إبداعه وصوره الباذخة التى لم يتضمنها شعره المسموح بنشره وتداوله . واختفاء هذه المساحة – غير المستأنسة – من شعر الديب ، ظلم لشاعريته وانتقاص من قدره . لكن ما الحيلة ، والذين كانوا يحفظون ويروون رحلوا ، والذي بقى بين أيدينا لا يمكن نشره أو تداوله . وهو موقف يثير قضية الحقيقة الكاملة فى مواجهة المواءمة . والمواءمة فى حال شاعر كعبد الحميد الديب تضر بشاعريته ضررا بليغاً ، وتُفقد صورته بعض قسماتها الأصيلة وملامحها الدالة . فلنتطلع إذن إلى عصر مغاير ، وزمن قادم يسمح بنشر ما لا يُسمح به اليوم ، وأن يبقى ذلك المسكوت عنه من شعره ، والذي لم يؤذن بنشره ، حياً ومتداولاً بواسطة المشافهة والحفظ الشخصي حتى يجئ أوان رد اعتباره وضمه إلى سائر حبات عقده !

لقد نجح الأستاذ محمد رضوان فى رسم صورة إنسانية وشعرية لعبد الحميد الديب أقرب ما تكون إلى حقيقته .

ولا شك أن قيام المجلس الأعلى للثقافة بنشر شعره محققا مضبوطا ، سيتيح لدارسيه مادة مغرية بالتناول العميق والدراسة الكاشفة والنظر الهادئ المتأمل ، كما سيتيح لقراء الشعر مادة شعرية حافلة مليئة بالتنوع والمغايرة والخروج على المألوف ، لأن صاحبها هو عبد الحميد الديب : الوتر النافر والصعلكة المبدعة !

فاروق شوشة

حكاية هذا الديوان
بقلم : محمد رضوان

لهذا الديوان حكاية . .. . .

فى منتصف الستينيات قرأت أول أشعار عبد الحميد الديب حين وقع بيدى مقال للشاعر الكبير كامل الشناوى عن الديب فى إحدى الصحف التى كان يكتب فيها الشاعر الكبير ومن يومها رحت أتتبع كل ما نشر عن حياته وشعره فى مختلف المصادر والمراجع خاصة مقالات صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان التى نشرها فى صحيفة الشعب تحت عنوان (عواء الذئب) فى نهاية الخمسينيات ، ورجعت إليها بدار الكتب بالقاهرة فيما بعد .

ثم عندما تركت المنصورة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ م وجدتها فرصة ثمينة لمراجعة الدوريات التى نشرت للديب وكانت توجد بفرع دار الكتب بالقلعة .

وقد بدأت مرحلة جديدة فى حياتى الأدبية حيث جعلت وجهتى وجامعتى دار الكتب فكنت أصعد كل صباح إلى مبنى الدوريات التابع لدار الكتب بالقلعة وأظل أراجع مختلف الدوريات من المجلات والصحف فى الفترة من (١٩١٥-١٩٥٠) لأستخرج منها كنوزاً ثرية لأعلام الأدب والفكر وكان اهتمامى الأكبر فى هذه الحقبة بثلاث شخصيات أدبية شامخة :

١ - عبد الحميد الديب .

٢ - زكى مبارك .

٣ - على محمود طه

ولكن كان تركيزى الأكبر على شعر عبد الحميد الديب الذى لم يسبق جمعه فى ديوان فى حياته أو بعد مماته واضطررت لمراجعة الصحف والمجلات التى نشرت أشعاره فى حياته والتى تغطى الفترة من حوالى عام ١٩٢٥ - ١٩٤٣ وهى فترة الإبداع والانتشار للشاعر البائس وكان جل شعره ينشر فى مجلات " الصباح " و (أبوللو) و(الرسالة) وصحف (البلاغ) و (الأهرام) و (مصر الفتاة) واستغرق ذلك منى ما يزيد على خمس سنوات كان كل اهتمامى فيها مركزا على كل ما يتصل بحياة هذا الشاعر المنكود وشعره الصارخ الذى كان يدور غالباً حول شكوى الزمان وتصوير مأساة بؤسه ومعاناته وثورته على ما يعانيه من ظلم وافتتان جسد صورها

من واقع حياته البائسة وآلام حرمانه الممض والتى جعلته يتعمق مأساة وطنه مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزي والاستغلال الطبقى فأخذ يرسل صواعق غضبه على جبروت الاحتلال وظلم الإقطاع .

ولم أكتف بمراجعة المجلات والصحف التى نشرت للديب قصائده بل رجعت لعدد من الأدباء الذين عاصروه أمثال أحمد حسن الزيات وأنور الجندى وطاهر أبو فاشا .

ثم كانت خطوتى الأولى نحو الاهتمام بهذا الشاعر البائس فأصدرت عنه كتاب (مأساة شاعر البؤس) عام ١٩٧٦ ثم وجدت أنه من الوفاء لهذا الشاعر أن أجمع ديوانه خاصة أنه لم يصدر له أى ديوان يجمع اشعاره المتفرقة سواء فى حياته أو بعد مماته .

وكانت المهمة صعبة لكن ما شجعنى عليها هو ذلك الصدى الطيب لصدور كتابى عن الديب فى مختلف أنحاء الوطن العربى حيث وصلتنى العديد من الرسائل تطلب المزيد من اشعاره الشجية ، كما لمست هذا الصدى أثناء رحلاتى لمعظم البلاد العربية .

وبدأت أجمع ديوان الديب من مختلف المصادر والمراجع فتوافر لدىّ العديد من قصائده التى تدور حول حياته ومأساة بؤسه وقصائده الوطنية والسياسية وغيرها ثم وجدت له بعض المذكرات التى تضم اعترافات شاعر يرسل نفسه على سجيتها ويصور فيها بعض معاناته وذكرياته مع الحياة والناس وقد دونها فى سنواته الأخيرة (١٩٤٠- ١٩٤٣) فرأيت أن أضمها فى نهاية الديوان لتكمل صورة هذه العبقرية البائسة وعندما استكملت جمع آثاره الشعرية والنثرية تقدمت به ليطبع فى مشروع المكتبة العربية التابع للمجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) وذلك عام ١٩٧١ .

وأثناء عطلة الصيف تلقيت فى قريتى بالدقهلية رسالة بتوقيع الشاعر عادل الغضبان باسم لجنة الشعر يطلب منى فيها مقابلته بمكتبه بدار المعارف بخصوص ديوان الديب وسافرت إلى القاهرة وقابلت الشاعر عادل الغضبان الذى طلب منى التنسيق معه ومع الشاعرين محمد مصطفى الماحى وصالح جودت بخصوص مراجعة الديوان ...

وبدأت جلسات مطولة مع الشعراء الثلاثة لمراجعة قصائد الديوان وتلقى الملاحظات وتصويب البعض واستبعاد البعض الآخر حتى اكتمل الديوان فى صورته الحالية .

ثم جاء عام ١٩٧٣ بعد أن التحقت بالعمل بمجلة الهلال القاهرية وأثناء لقاء مع

الشاعر محمد عبد الغنى حسن أبدى لى تخوفه من حدوث مشكلات مع ورثته إذا صدر الديوان فسحبت الديوان رغم أن هدفى الأول كان إنصاف هذا الشاعر المظلوم ويعلم الله كم أنفقت من وقتى وجهدى ومالى فى سبيل جمع هذا الديوان على مدى خمس سنوات كاملة صيفاً وشتاء . وسحبت الديوان وظللت أضيف إليه كل ما وجدته من آثار شعرية مجهولة للشاعر البائس . ومرت السنوات . . .

وعندما تقدمت بالفكرة من جديد للمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧ لطبع ديوان (الديب) وجدت تشجيعا من الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فحزمت أمرى على تنفيذ هذه الفكرة التى طال انتظارها والتى تأخرت كثيراً وأرجع البعض سببها إلى النحس الذى لازم الديب وحظه السئ الذى وصفه بقوله :

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة
هو النسيم سموماً غير خفاق
هو السحاب جهاماً والندى أسناً
هو الضياء به موتى وإحراقى

ولكن أقدمت رغم كل ما قيل عن نحس هذا الشاعر المنكود الذى يذكرنا بحظ الشاعر ابن الرومى ونحسه إيماناً بعبقرية الديب وفنه الشعرى الفريد الذى تحدى به حساده :

زعم العواذل أن سعيى فاشل
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوأة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى

وحين نقدم هذا الديوان وفاء للشاعر البائس عبد الحميد الديب فإنما نقدم أيضاً صفحة تكاد تكون منسية من صفحات شعرنا المعاصر ولونا فريدا من أدب البؤس والصعلكة التى ابتكرها فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب الذى وصفه أحمد حسن الزيات بأنه كان نمطاً وحده فى شعراء العصر الذى كان ظهوره رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل

الكاسب فأخلدوا إلى التبطل وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر والذى لم يعرف الحياة على أنها جد وكد وإنما عرفها على أنها لهو ولذلك قضى حياته البوهيمية لا ينام إلا على المسكر المخدر ولا يستقيظ إلا على الجوع والظمأ .

فإذا كان الزيات قد أدان شاعر البؤس فإن ظروف الشاعر نفسه ومجتمعه قد صنعت منه هذه العبقرية البائسة المنكودة .

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر ، حيث يعده النقاد أبرز شاعر معاصر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعرا فريدا فى زمانه ، وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً . لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركة مع شانئيه ، وتشرده فى الشوارع ، وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، وحوادثه المثيرة فى السجن ومستشفى الأمراض العقلية ، والحانات الرخيصة . كل هذا وغيره رسمه لنا الديب بريشته المبدعة الخلاقة ، فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى عزفت لنا تلك القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان وأشجاها فى شعرنا المعاصر .

لقد حرصت على تناول سيرة هذا الشاعر المحروم ، من خلال شعره الذي أتيح له أن ينشر اليوم كاملاً برعاية المجلس الأعلى للثقافة ، بعد أن عاش محروماً ، وظل شعره منذ وفاته (١٩٤٣) مبعثراً على صفحات الصحف والمجلات وفى ذاكرة معاصريه ولعل شاعرنا البائس كان لديه إحساس قوي بإهماله فى حياته وبعد مماته حيث قال :

لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غدى
وياحر قلبى من شقائىَ فى أمسى

* * *

وإذا كان مفهوم الصعلوك هو الفقير الذى يواجه الحياة وحيدا ، وقد جردته من وسائل العيش فيها ، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه فى مواجهة مشكلاتها ، أى بمعنى أدق الفقر الذى يغلق أبواب الحياة فى وجه صاحبها ، ويسد مسالكها أمامه فإن عبد الحميد لم يكن مجرد صعلوك ، بل كان فيلسوف الصعاليك الذى

فلسف فقره وصعلكته وتمرده على الحياة والواقع والمجتمع [1] .

وإذا كان المجاهد الكبير الأديب فتحي رضوان يري أن الديب كان شاعرا موهوبا ، كان جديرا بأى يثرى الشعر العربي فوق ما أثراه بألوان فريدة غير مسبوقة ، وبمعان جديدة غير مطروقة ، لو أن الوسط الأدبي كان أكثر جداً ، وكانت الحياة العامة أعظم حظا من الاستقامة والقوة ، ومع ذلك فقد جاد علينا الديب ، بقطع جميلة ، وضع الديب بها نفسه على رأس معاصريه من الشعراء الذين كانوا فى مستواه ، فإذا كانت الشكوى من الدهر والتململ من ضيق الرزق ، والتفوق على نفسه المرة بعد المرة ، فى وصف فقره وبؤسه ، وهوانه على الناس ، وعدم احتفالهم بشقائه ، هو الموضوع المفضل عنده إلا أنه لم يكن الموضوع الوحيد الذى طرقه فقد تناول أمورا كثيرة ، منها ما هو وطني ، ومنها ما هو إجتماعى ، ومنها ما هو وصفى ، وكان فيها جميعاً حارا متدفقا وفنانا مبدعا .

ويرى طاهر أبو فاشا أن عزوف الديب عن استكمال دراسته بدار العلوم وخلعه للعمامة وطريشته » ، فإنه بذلك قد بدأ مسيرته مع الصعلكة والأنحراف والتشرد والجوع ، واطرد هذا اطرادا عكسيا مع أدبه وفنه ، فكان ينحدر فى حمأة الانحراف ، بينما كان شعره يرتفع ويسير ، واسمه يتألق كشاعر مبدع ، فانحدر وهوى كانسان ، وارتفع كفنان عبقرى !

* * *

وبعد فإن قيام المجلس الأعلي للثقافة بنشر ديوان عبد الحميد الديب إنما هو بمثابة تكريم لهذا الشاعر العبقرى ، وإتاحة الفرصة للنقاد لدراسة حياة شاعر البؤس وشعره الذى فلسف فيه أحزان الصعاليك وبؤسهم من واقع حياته البائسة المكدودة .

محمد رضوان

---

(١) راجع كتاب فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب / تأليف محمد رضوان – مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

عبد الحميد الديب . . . سيرة حياة
(١٨٩٨ - ١٩٤٣)

فى كمشيش

ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية . . ولد لأسرة فقيرة بائسة فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان ! . .

كان والده السيد الديب فلاحا فقيرا متواضعا وكان يعمل فى مواسم القرية واعيادها جزارا ليعول أسرته الكبيرة القانعة ويرد عنها الجوع والعوز .

وألحق عبد الحميد الديب بكتاب القرية فحفظ القرآن وجوده فى فترة وجيزة وكان فتى متمردا عنيفا صلبا له قصص وطرائف مع الشيخ ومع العريف . . وفى تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرا ساذجاً يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف والصبية يضجون حوله بالضحك وكثيرا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة فكان يضرب بالفلقة ولكنه لم يكف عن الإمعان فى هذا المجال الساخر . .

وكان كثيرا ما يستحم فى الترعة وكان ذلك محرما على صبية الكتاب فكان ذلك سببا فى إثارة الشيخ ضده وعقابه بالضرب " بالفلقة " ! .

وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزارى القرية ليعمل صبى جزار لقاء قروش قليلة تساعد فى دفع غائلة الجوع عن الأسرة . .

ولكن الشيخ بالرغم من غضبه على عبد الحميد كان يبدى إعجابه ببراعته الفائقة فى سرعة الحفظ وتجويد القرآن الكريم . . .

شب عبد الحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب وترسبت فى أعماقه صور أسرته البائسة وهى تعانى ضروبا من ألم الجوع والحرمان والبؤس .

وفى طفولته كان يشعر بمرارة فى أعماقه وهو يرى نفسه فى الأعياد يلبس ملابس رثه حافى القدمين جائعاً على حين بقية الصبية يمرحون ويلهون وهم يرتدون ثيابا نظيفة وأحذية لامعة ويطلقون الأغانى المرحة الطروب .

وهكذا شب شاعرا حزينا باكيا .

وكانت لأبيه أمنية عزيزة ، هى أن يرى ابنه شيخا مجاورا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن لتلاميذه ، ومريديه ! ..

وهكذا اتجه عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة سنة ١٩٢٠ م ليلتحق بالأزهر الشريف وفى حى الحسين قطن بحجرة متواضعة بحى قصر الشوق . . .

وعاش حياة بائسة فى تلك الحقبة من حياته . .

وكان كثيراً ما ينام على الطوى لرقه حاله وضيق ذات يده . .

وفى الأزهر نهل من تراثه وقرأ أمهات كتب الأدب بالعربى فقرأ الأغانى والأمالى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها من شوامخ الكتب فى الأدب العربى القديم ! . . .

ومضت حياته بين دراسته فى الأزهر وكفاحه المرير فى سبيل لقمة العيش وكان صراعا مريرا وقاسياً استنفد جهده ووقته وماء وجهه . .

ثم صمم عبد الحميد الديب على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا . .

وكان له ما أراد . . .

والتحق عبد الحميد الديب بمدرسة دار العلوم العليا . .

ومضى يقرأ أمهات الكتب ويقرأ روائع الشعر العربى القديم . . ولكنه لم يكن يتقيد بمنهج أو بدراسة بل كان يقرأ ما يحلو له وما يتذوقه فكان يقضى جل وقته بدار الكتب يقرأ ويدون ملاحظاته فى كراسة تلازمه يكتب بها روائع قراءاته فى الشعر العربى . . إلى أن كان ذات مساء . . . ساقته فيه المصادفة إلى بولاق ، وهناك جلس على أحد المقاهى يسترق السمع إلى شخص آخر كان يجلس فى الركن المقابل يلوك فى فمه شطرة من أغنية تقول : والله تستاهل يا قلبى . .

وظل يرددها عشرات المرات ولا يتمها ولاحظ الديب ذلك .. فتقدم منه وقال له بلا مقدمات :

– اقترح أن تتمها هكذا :

والله تستاهل ياقلبى ليه تميل ما كنت خالى
أنت أسباب كل كربى أنت أسباب ما جرالى

وكاد الرجل يطير فرحا فقام من فوره واحتضن عبد الحميد الديب وراح يغمره بالقبلات وقدم له نفسه فإذا هو سيد درويش ! . .

الطلل الباكى ! . . .

ودخل الديب فى دور جديد من أدوار حياته . . .

وجد سيد درويش فى الديب ضالته المنشودة . . .

وكان سيد درويش مسرفا سخيا فأغدق على الديب . .

ونسى الديب دار العلوم وانتقل إلى قصر فخم وبدأ يزاول حياة الترف والنعيم ولم يدرك الكارثة إلا يوم مات سيد درويش فجأة فى سبتمبر عام ١٩٢٣ . . .

فانقطعت بالديب أسباب الرزق وترك القصر ليقضى لياليه متسكعاً فى الشوارع هائما طول الليل حتي إذا ما انتهى به الطواف ذات ليلة عند القصر الذى كان يقطنه أيام سعادته وقف يناجيه بمرارة :

لو أستطيع البكا ياأيها الطلل
بكيت حتى شكت من دمعى المقل
أرى الحوادث آسادا مقذفة
علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضرته
وكم خبا فى دياجى عمرى الأمل
وكم دعت لى أمى وهى باكية
وكم دعا لى أبى يقظان يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم
وكلهم بمجالى رقتى حفل
حتى إذا سلموا للعود وانصرفوا

سـريتُ جـوعـان يفـرى عـزمى الكـلل
كـأن حظى رحـيق الـدهر يشـربهـا
بكـرا مـعـتـقـة ، والـدهر بى ثـمل . . !
فـإن تطـلبتُ عـيـشى متُّ مـن كـمـد
وإن تطـلبتُ حـينى يبـعـد الأجل (١)

وكانت تلك الصدمة العنيفة القاسية هى أولى الصدمات التى واجهت عبد الحميد الديب فى القاهرة وتركت فى نفسه آثارا قوية وشعورا عميقاً بالأسى والمرارة والسخط ! . . .

---

١ - أبوللو / أكتوبر ١٩٣٣ .

البائس ! . . .

وأصبح الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى . . يذرع شوارع القاهرة ليله جميعاً حتى ينال منه التعب فإذا أذن المؤذن للفجر هرع إلى المسجد ليتظاهر بالصلاة لينام ويصور لنا الديب تلك الحقبة من حياته في قصيدتة الرائعة : كيف أعيش ؟ . . يقول فيها :.

نهـــارى إمـــا نومـــة بـين مـــسجـــد
غـــرارا وإمـــــا بالـطـريـق تـسكـع
وأطوى عـــصىّ الـليل فى الـقـــرســاعــيـــا
ومن أيـن للأفـــاق فى الكون مـــهـــجع
أصـلى بـأذكـــــار المرائى وقـلـبـــــه
وبئـس صـــلاة يحـتـــويهـــا تصنع ! . . .

وبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء إلى طلب المنح والعطايا من ذوى القدرة ومن الطرائف تلك القصة فى أحد مواقف الديب مع أمير الشعراء أحمد شوقى . . . كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء وكان الديب يصاحب زميلا له في محنته قضت المصادفات بأن يشاركه في ليله ونهاره فكلاهما غريب لا أهل له ولا سكن وكلاهما مهاجر بين أقطار الأسى لا يجف له دمع إلا إلى مدمع .. وظل الصعلوكان يذرعان الطرقات بلا جدوى وبلا أمل فى طعام ومأوى حتى مرا على (صولت) ندىّ أمير الشعراء أحمد شوقى ومجلس صحبته وحاشيته فقال الديب لصاحبه :

إن هنا من لو شكونا إليه لمسح دموعنا !

قال رفيقه فى البؤس : وى ... أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر ؟ ..

قال الديب :

– إنه أمير الشعراء شوقى بك !..

وعمد الديب إلى ورقة من أوراق جيبه فكتب فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال   وقد تغرب لا أهل ولا مال ؟

ومضى الديب إلى شوقى متعمدا مخاطبة شوقى بالباشا إذ كان يهمه أن يصل بأميره إلي القمة من غير شك وما كاد شوقى يأتى إلى البيت حتى وقع تحته توقيعاً طرب له الديب وضمن له أن يأكل أكلة دسمة فى تلك الليلة مع رفيق بؤسه ! ...

فى جحر الديب

وقطن عبد الحميد الديب فى غرفة صغيرة بلا أثاث ولا فراش فى حى الحسين وكان يطلق على تلك الغرفة (جحر الديب) ! .....

ويرسم لنا عبد الحميد صورة طريفة لغرفته فى قصيدته التى يقول فيها :

أفى غرفتى يارب أم أنا فى لحدى ؟...
ألا شدّ ما ألقى من الزمن الوغد
وهل أنا حى أم قضيت ؟ .. وهذه
إهابة إسرافيل تبعثنى وحدى ؟ . .
لقد كنت أرجو غرفة فأصبتها
بناء قديم العهد أضيق من جدى
فأهدأ أنفاسى يكاد يهدها
وأيسر لمس فى بنايتها يُردى
أرى النمل يخشى الناس إلا بأرضها
فأرجله أمضى من الصارم الهندى
تساكننى فيها الأفاعى جريئةً

وفى جـوهـا الأمـراض تفـتك أو تعـدى
تـرانى بـهـا كل الأثـاث فـمـعطفى
فـراش لـنومـى أو وقـاء من الـبـرد
وأمـا وسـاداتى بهـا فـجـرائد
تجـبدد إذ تبـلى عـلى حـجـر صلـد
تعـلمت فـيـهـا صـبـر أيوب فى الضـنى
وذقت هـزال الجـوع أكـثـر من غـاندى
جـوارك يـاربى لمثـلى رحـمـةٌ
فـخـذنى إلـى النيـران لا جنـة الخلـد

وكان الشاعر البائس عبد الحميد الديب يعجز عن سداد إيجار غرفته المتواضعة على الرغم من ضآلته حتى أصبح صاحب البيت عدوا بالنسبة له وكان الشاعر يلقى صنوفا من الإذلال والمهانة بسبب مماطلته فى تسديد الثمانين قرشا أجـرة الغـرفة التى يسكنها وقد صور ذلك فى قصيدته التى يقول فيها :

ثمـانون قـرشـا أهلكتنى كـأنهـا
ثمـانون ذنبـا فى سـجـل عـذابى
طويت لهـا الدنيـا سـؤالا وكُـدْيةً
فـمـا ظـفـرت نفـسى برد جـواب
لـعنت كـراء البـيـت كم ذا أهـنتنى
وأذلـلت كـبـرى بين كـل رحـاب
لأجـلك إِمـا أن أبـيع كـرامـتى

وإمــــا أفـــديّهـــا ببـــيع ثيـــابى

فـــفى كل شـــــهـــر لى عـــواء بموقف

يبـــاعـــد عنى أســـرتى وصـــحـــابى

وطول ليـالى الشـهـر تهـتـاج مـضجـعى

مـــخــافـــة رب البـــيت يطرق بـابى

يطالبنى فى غلظة فـــأجـــيـــبـــه

إجـــابـة من يـرجـــو يـداً ويحـــابـى

ألا مـــسـكن مـلكى ولـو بجـــهـنـم

فـــأكـــفـى من الأيـام شـر حـــســـابى ؟

وقد سأله أحد أصدقائه ذات يوم : كيف أنت ياديب والدنيا اليوم ؟ فقال الديب فى تهكم :

يقولون إنها ابتسمت لى ! .. فقال الصديق : إذا فرض أن الحياة أقبلت عليك وفتحت ذراعيها وابتسمت لك كما يقولون وشعرت بابتسامتها فما موقفك منها إذ ذاك ؟ ..

فقال الديب فى آهة حزينة : أؤكد لك أن الشقاء يلازمنى فأفارقها ! ... وكان الديب لا يملك إلا حلة واحدة رثة مهلهلة واتفق ذات مرة أن خلع عليه أحد أصدقائه حلة جديدة ولعلها المرة الوحيدة فقال له الشاعر كامل الشناوى مداعباً :

أراك متنكرا يا ديب ! ..

وكان الديب قد شرع قبيل وفاته في جمع قصائده فى ديوان أزمع أن يسميه (ثورة المحروم) ولكن الموت لم يمكنه من تحقيق أمنيته .

الديب ... والخمر

اندفع الديب إلى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان بعد أن قوبل بضروب من الجحود والانكار وأساليب شتى من العدوان والافتئات وكان يسعى إلى الحصول على بضعة قروش ليقضى بها شطرا من الليل فى حى الزهار وشطره الأخر بين الكأس والوجوه المليحة فى حانة (الحاخام) بحارة اليهود خلف حى الموسكى وكان يعيش ساعات على حد قوله فى مثل أطياف الجنة .. فقد كانت الحانة فردوسه المنشود فإذا أستبد به الخدر ارتمى تحت حطام منزل مهجور أو استلقى فى ظل جدار متداع يحلم بالسعادة المنشودة والمجد الموهوم ويسبح فى خيالات وأوهام ساحرة مفعمة بالنشوة والسعادة والجمال ...

ثم يستفيق فيصطدم بواقعه الجهم وحياته المجدبة فيشكو ويسخط ويتمرد ! .. ويهتف الديب بفلسفته الأبيقورية الماجنة فى تلك القصيدة الجريئة الصارخة : (١)

هات المدام فدين الله تيسير
وأسعد الناس مخدور ومخمور
هات المدام ولا تعرض لمتربتى
مهما غلا العيش لم تغل القوارير
فديتها حانة الحاخام هادئة
سكرى يعربد فيها الحسن والنور

ويرسم لنا شاعر البؤس صورة نثرية طريفة عن بعض نوادره فى حانة الحاخام التى كان يرودها بأسلوب مشرق رقيق جذاب ...

كتب الديب تحت عنوان (الخمر والشعر) يقول :

(ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة : نحن أبناء الأعيان .

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

« بلى ... إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس مني ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق . ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون : شاعر البؤس .. (ولا أكذبك أننا جميعا كأننا خلقنا لوجه الكأس والشيطان أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس ...

(لقد استيقظ الساقى وفى هدب عينيه بقية نوم وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها وما فينا باخل أو ضنين كل على صديقه ..

(لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية .. تخيلوا أنها ستكون أغنية الجيل ..

(واذا فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتي عن نظم سطر واحد من بيت . لقد حسبوا أن الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة .. (لا .. لا ... هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحي والالهام) تناوبا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى أغفو سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتاً أو أبياتا وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حال أشبه ما تكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب ...

« وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التالية ومطلعها : (١)

كلما أقبل ليل أو نهار
شاقنى العهد وشاقتنى الديار
وشجانى سحره هذا المزار
والليالى الخرد الغيد النضار
بعد طول البين هل يجمع شمل ؟
هو نار هو وجد هو قتل
ياحبيبى كيف أنجو كيف أسلو ؟

---

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

لقد نجحت فى نظم القطعة ولكننى نظمتها وأنا صاح غير مخمور
الحق أن الخمر عدو للشعر ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى في حالة السكر)
هذا هو رأى الديب فى الشعر والخمر ...
وللديب قصيدة طريفة بعنوان (فى الحانة) يقول فيها :

يـاحـــــانـة مـن طلاهـا تـشـــــرب الكـاس
وفـى دجـنّتــــــهــــــا لـلـقـلـب إيـنـاس
شـــــذى المدام وأرواح الـســـقـــاة لهـــا
كـــــالـروض عطّره الـنـســـــريـن والآس
يـاشـــــادنـا فـى يـديه الـكـأس فـــــاتـنـة
كـــأنمـا خـــمــــرهـا حـــب وإحــــســـاس
إلىّ فــــاتـنـة الندمــــان واســـتـبـــــقى
هذا الـغـــزال فــمـنك القـــدّ مـيـــــاس
والـنـهــــــد ؟ .. ياويـلتـى من حــــالم هـزج
إلـى الـتـــــــوثــب مـنـه يـرفـع الـراس
يـالائمـى فـى الطـلـى أفـــرغـت مـنك يـدى
فـــأنـت فى حـــرمـــات الخلـد دســـاس
قل لـلخليـين من يصـحــون مـن غـســقى
أنـتم عـلـى طـهـــــركـم بـالماء أنجـــــاس

كل العباد سكارى فى معيشتهم
والسكر كالخلق أشكال وأجناس

وقد تعرض الديب كثيرا للسجن بسبب إسرافه فى السكر ولم يكن يخاف شيئا إلا الشرطة فكان ينكر فى حرارة أنه يتعاطى الكوكايين بالرغم من إدمانه له وراح يبث شكواه عندما نعي عليه بعض الناس إغراقه فى السكر ومعاقرة الخمر وشم الكوكايين فى قوله :

أفاطم إن الناس قد أكلوا عرضى
وبت لعيناً فى السموات والأرض
يقولون شمّام وما شمّ معطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض
معاذ شبابى أن يبيت تضيره
هشيما وأن أقضى على جسمى البضّ
أأيس بياض الكوكايين مبشرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى

وهكذا اندفع الديب إلى الكأس وإلى شم الكوكايين وإلى حياة الليل والصخب والعربدة وراح ينوب تدريجيا حتى أشرف على النهاية ....

الديب ... فى السجن ! ...

دخل الشاعر البائس السجن غير مرة بتهم مختلفة منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الحساب وشم الكوكايين والعربدة ! .. وله فى كل ذلك قصائد كثيرة وكان يخالط فى السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين فنظم قصيدة يصف السجن يقول فيها :

له بفؤادى لذة ووجيب

ومنه لقلبى بلسم وطبيب
ملأت به الدنيا هوىً وصبابة
وهلهلت فيه الحب وهو جنيب
وما صدَّ عنى أو لوى دون حاجتى
ولكن أخلاق الجميل غريب
تهدهده كالطفل إن أنّ أوشكا
ويغرى بك الأشجان وهو طروب
لقد شبعت فىّ الأعادى شماتةً
وبت ومالى فى الوجود حبيب
وأصبحت مسجوناً بدار بعيدة
تجافى بها خلّ وبان قريب
أأصبح مسجونا وما كنت مذنباً
ولا حزبتنى فى الحياة ذنوب ؟
وإخوان سجن قَبَّحَتْ من وجوههم
هموم تَوالى دائماً وخطوب
فمنظرهم أضحوكة كلباسهم
ومخبرهم فى الحادثات رهيب
بنو آدم من حولنا أم عقارب

لهـــا فى الحـشـــا قـــبـل الجـســـوم دبيب ؟
لقــد كنت فـيــهم يـوسف السـجن صـــالحــا
أفـــســـر أحـــلامـــا لهم وأصـــيـب (*)

وكان دخوله للسجن مادة ملهمة لشعره المفعم بالألم والحزن والمرارة مما أضاف لشعرنا العربى المعاصر لونا جديدا وطريفا قل أن يوجد له نظير أو شبيه ! ...

(*) مجلة الصباح ٢٦ يونيه ١٩٤٢

فى عالم الجنون ! ...

اقتيد الديب ذات مرة للسجن بتهمة السكر والعربدة فسأله الضابط :- ماذا تكون اليوم ؟ ...

فأراد الديب أن يبرهن له أنه فى تمام وعيه وإدراكه فقال :

– اليوم السبت وغدا الأحد وأمس الجمعة وبعد غد الاثنين ! ... فظن الضابط به الجنون فأمر بتحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية وكان الديب فى تلك الحقبة فى حالة يرثى لها .. فقد كان إنسانا محطما غائباً عن وعيه لا يكاد يفيق ولكنه على أية حال لم يكن مجنونا . .

وقد استلهم الديب من هذا المستشفى قصيدة ساخرة يقول فيها :

رعـــاك الله مـــارســتـــان مـــصــــر
فـــــــإنـــك دار عــــــــــقـل لا جـنـون
حــــويت الـصـــابـرين عـلى الـبــــلايـا
ومــن نــزلـــوا عــلـــى حــكــم الــســنــين
ومـن هـبطـوا بـهـم من صــــرح عــــز
إلــى أغــــــــــــــلال إذلال وهـــون
تــراهم خـــــائفين فـــــإن أثـيـــــروا
بمـهـــــزلة فـــآســــاد العــــريـن
وإن ســــئلوا عـن الأســـرار كــــانـوا
كـــــمـن أخــــذوا عـن الـروح الأمـين

(*) – مجلة الصباح / ٢٦ يونية ١٩٤٢

وربّ مـــــهــــــــرج منهم بقـــــول
يـريـك الجـــــــــد فـى ثـوب المجــــــون
فـــــإن يـغـضـب بقـــــارصـــة تبــــاكى
فـــــأبـكى الـعين بـالـدمع الـهــــتـــــون
يـعــــــذبـه عـــــبـــــــادك كـل يـوم
ويـصلـى الضـــيْم حـــينا بعـــد حين
وكـم فى مـــــصــــر من غِـــرّ غـــبىٍّ
تمتـع بالجـــــــمـــــيل وبالثـــــمين
ولـو عـــدلـوا لأمـــسـى خـــانـكيـــا
يعـــذب بـالشـــمـــال وبـاليـــمين (*)

وكانت للفترة التى قضاها الديب فى المستشفى آثار حسنة بالنسبة للشاعر البائس فقد استرد صحته وكاد ينسى المخدر ... وعاد لوعيه من جديد ...

(*) - الصباح - ١٩ يونية ١٩٤٢

ثورة المحروم ! ...

قوبل الديب بضروب شتى من الجحود والغَبْن والانكار ، فى أساليب شتى من العدوان فصور عراكه مع شانئيه ووقوفهم له بالمرصاد وإقامتهم العقبات فى سبيله :

إذا قلت قـديس يقـولون سـادر
وإن قلت حىّ يحـملونى إلى رمـسى
تحـديت أيامى وقـومى بوحـشتى
وكـم وردوا مـنى مـناهـل للأنـس
لقـد جـهلوا يومى ولن يكرمـوا غـَدى
وياحـر قلبى من شـقـائىَ فى أمـسى

وهكذا يبدو لنا جليا يأس الشاعر المرير من قومه فهو لا يطمع فى أن يكرموا غده ماداموا قد جهلوا يومه وأنكروا أمسه .

وانقطعت بالديب أسباب الحياة العائلية المطمئنة ، فهو يشعر بغربة موحشة ولاسيما فى الأعياد والمواسم . . .

كانت أقسى أيام تمر على شاعر البؤس فى القاهرة هى أيام الأعياد فقد كان يرى جيرانه يرتدون ملابس جديدة نظيفة وأحذية لامعة ويتزاورون فى طرب وبهجة وسرور يشهد الشاعر ذلك وهو ذاهل عن نفسه ويتلفت فيرى نفسه : رثاثة وإفلاس وأحزان وغربة ووحدة ودموع !

ويصف لنا فى يوم العيد كيف تجافاه الناس ونبذه الأهل والأحباء :

من زائرى بالعـيـد ؟ من بالبـاب ؟
وهمٌ فـقـدتُ به رشـيـد صـوابى
مـن ذا يطالع سـحنةً مُـغـبـرةً

فكأنهــــا لعنت بكل كـــتــاب

والناس مــهــمــا أسـعــدوا فى عــيــدهم

صــرعى خــراف فى ســعــار ذئاب

وكان العيد يقبل دائماً والديب مفعم بالمرارة والحسرة والألم بسبب شدة فاقته وبؤسه وشعوره بالغربة الموحشة وسط أمواج الفرحة والابتهاج والطرب فى العيد . . .

فكان يستقبل العيد بمثل هذه الأبيات الحزينة الباكية :

عــيــد يطالعنى والعــيش منكود

لأنت يوم الأسى والحــزن ياعــيــد

يجــدد الناس من لبس ومن فــرح

وعندنا للأسى والهم تجــديد

المسلمــون وقد عشنا خيار همو

كأننا بينهم فى عــيــدهم "هود"

لو أنصف الناس ما ضحّوا بشاتهمو

بل كان قربانهم للمعــتفى جود ... ؟

ولشاعر البؤس طرائف كثيرة فى أيام الاعياد أروى واحدة منها :

كان للديب صديقان جند الدهر لهم ثالوثا من البؤس والعطل وعدم السكن والاشتغال بالأدب ولقد تواصوا أن يقسم كل منهم ما يصيبه بقلمه أو بغير قلمه من الرزق بينه وبين صاحبيه وأقبل عيد الأضحى فهاجر كل منهم فى الجهاد لكسب المال حتى يمكن أن يشاركوا الأمة فى مهرجانها بالعيد ! . . .

وسوّلت للديب نفسه ثم صحت عزيمته على أن يكون سمسارا فى سوق الخراف ورأى الجو مهيئاً للاشتغال كوسيط فى توصيل النعاج والخراف إلى حوزة الموسرين الذين يعدون العدة لمسرات العيد بخروفه المحبوب !

ووقف الديب فى حلقة باب الخلق بحلته الأفرنكية يغشاه بعض الحياء قبل مزاولة العمل ثم أقدم وأخذ يتابع المساومة لأحد المشترين الأثرياء من المعلم محمود بأوصاف تحسين للخروف وإطراء لذمة المعلم ومع أن هذا الخروف كان كالكبش العجوز فقد نعته بأنه لم تمض على ميلاده أشهر ..

وكلما قال الديب كلمة نظر إليه البائع نظرة الجاهل بمأربه وأنكر المشترى مبالغته فى نعت الخروف والحق أن الديب أكثر من الثرثرة التى لم يراع فيها كبرياء البائع ولم يراع فيها كذلك رغبة المشترى في رخص السلعة ! ..

فصاح المعلم فى غيظ وحنق فى وجه الديب :

– وما شأنك أنت ؟

فقال الديب :–أنا سمسار ... سمسار هنا ! ..

فقال المعلم :– إنى لم أرك قبل اليوم فى أى سوق من أسواق البهائم !..

فتمسك الديب بدعواه واستعدى التاجر عليه اخوانه الذين أنكروا وجود مثل الديب إلى جوار الخرفان وأخيرا نادوا الشرطى فجاء ومعه مخبر الحلقة فى ثوبه التنكرى وطلب من الديب إبراز رخصته وإثبات شخصيته وعمله فأسقط فى يد الديب فهو لا يملك رخصة وليس له من عمل اللهم إلا تلك القصائد التى كان لا يدرى طريقا للانتفاع بها .. وأخيرا سيق إلى الشرطة وكلهم مرتاب فى أمره وكلهم متمسك بوجوب التحرى عن حقيقة ذلك السمسار المجهول الدخيل ! ..

وحين عرف الضابط الدعوي وسمع من عبد الحميد الديب دفاعه عن نفسه ضحك ضحكا جهيرا متواصلا إذ كان يعرف الديب من بعض المواقف السابقة التى جمعته وإياه ثم قال : اتركوه لى .. وسأعرف شغلى معه ! ..

وأجلسه وأكرم وفادته ثم صرف الديب بعد أن نصحه بالبعد عن مواطن الشبهات ! ..

وذهب الديب إلى فندقه الذى تواعد هو وصديقاه على المبيت فيه وقد كان من فنادق الله المباحة ، كان مسجدا مجاورا للأزهر ! ..

وألفى صديقيه يرتقبان عودته لعله يكون قد أصاب قروشا تدفع عنهم غائلة الجوع وإذ أبصراه مطأطئ الرأس على غير عادته عرفا كل شئ وتأكدا أنه على مثل حالهما من المسغبة ! ..

وجاء صباح اليوم التالى والديب قد أظلمت الدنيا أمامه يرى الناس حوله فى

ثيابهم الجديدة المختلفة الألوان يضجون بالتكبيرات التقليدية المعروفة ينظر إليهم كأنه غريب عنهم وإذ انتهى خطيب المسجد من خطبة العيد وقف عبد الحميد الديب على أثره وأنشد هذه الأبيات :-

ياذابحى الشـــاة فى أفــــراح عـــيــــدكم
هلا بعـــثـــتم لـنا من طـبـخـــهـــا المرقـــا ؟
يـالابسين جـــــديدا مـن ثـيـــــابكـم
هلا بعـــــثــــتم لنا المتـــــروك والخلقـــا ؟
ردوا علـيـنـا شـــــبـــــاباً كـم ذوي وذوى
وشـــيـــبكم يانـع يســـقـــيكم غـــدقـــا !

ولم يفهم الناس على أصح تقدير ما يرمى إليه الديب ... فانصرفوا ! ... وبقى الديب على حصير المسجد طول اليوم ، يوم العيد يأكل الهم والهم يأكله ! ...

وهكذا انقضى هذا العيد الحزين على شاعر البؤس ! ..

وكان فى الأعياد يردد دائماً قصيدة المتنبى الشهيرة :

عـــيـــد بأية حـــال عـــدت يـا عـــيـــد
بما مـــضى أم لأمـــر فـــيك تجـــديد ؟

ومن طرائف الديب .. أنه كان جائعا ذات ليلة ... وأشرف على الموت جوعا ... فتلفت يمينا ويسارا عن أي شئ يقتله أو يأكله .. وشاهد مطعما شعبياً فى الحى الحسينى على وشك الإغلاق ، فدخله مقتحماً ، وهو منكوش الشعر منتفخ الأوداج أحمر العينين وصاح فى صاحب المطعم :- هات فرخة بأرز وخضار وموز وبرتقال ! .. وراح يطلب عدة أصناف والرجل يحملق فى وجهه بذهول فصاح الديب به :

- بسرعة .. وإلا أحرقت لك المطعم ... وسلقتك فيه ! ...

فأسرع الرجل خوفا على حياته وعاد بكل ما ذكر الديب فالتهم كل ما طلبه فى زمن وجيز وحان وقت الحساب ولم يكن مع الديب سوى قرشين فقط ، فأخرج مطواة

كبيرة من جيبه وأخذ ينظف بها أسنانه والرجل يلاحظه فى ذعر من بعيد ثم التفت الديب إليه قائلا :- هل تعرف صاحب المطعم الذي أمامك ؟ .. إنه لص ونصاب .. بالأمس أكلت عنده وكان الأكل مثل ما أكلت اليوم وأكثر قليلاً .. أتعرف كم طلب اللص ؟ عشرة قروش فقمت إليه وقطعت أذنيه وأطعمته إياهما ! ..

فتحسس الرجل أذنيه في هلع وذعر ثم قال الديب بعد تمهل :

- كم حساب هذا الطعام ؟ .. فأجاب الرجل فى ذعر :- كفى يابك قرشان !

فدفع الديب قرشين وخرج يتهادى فى زهو وإعجاب ! ..

* * *

ولكثرة ما صادف الديب من الهوان والأذى وكواذب الامال والعهود والوعود تأكد لديه أن الناس قد أجمعوا أمرهم على حربه ومناجزته ، حتى ليخفوا نوره كلما حاول اظهاره ولكنه مع ذلك لا يري فى الناس عدوه الحقيقى ، وإنما هو الدهر ذلك العدو اللدود وما الناس إلا آلات للدهر تستجيب لكل ما يأمر به من إيذاء وتعذيب للديب ! ..

وهذا تجسيم للوهم ولكن الديب كان يؤمن به إيمانا قويا عارما ! ..

وكانت للديب طرائف كثيرة مع أصدقائه .. وكان من عادة الديب أن يجلس فى مقهى الفيشاوى بحى الحسين وكان يطلق عليه « الحى اللاتينى » كما أنه كان يجلس على بار اللواء مع أصدقائه من كبار الشعراء والأدباء .

وكتب أحد الأدباء سنة ١٩٣٤ فى إحدى المجلات يقول عن الديب ساخرا :

(ودعنى أحدثك عن شاعر ضئيل الجسم ناحله ، شاحب اللون حائله ، يابس العود ذابله ، قد ارتسمت صفرة الموت على وجنتيه ، وأطل عزرائيل من فتحات عينيه وضؤل جسمه بقدر ما ضؤل اسمه ، فلو اشتدت به الريح فى يوم عاصف لهصرت عوده كما تهصر أعواد الشجر أو ذرت جسمه كما تذرو الهشيم والمدر ، وعلى ثيابه من الأقذار والغبار ، ما يكفى لسد آبار وردم أنهار ، وهو مع ذلك يرى أن الأرض لم تحمل أجمل منه شكلا ولا أخف ظلا ويحسب أن الله إنما أبدعه سحرا للناظرين ، وفتنة للعالمين ..) قرأ الديب هذا المقال فجاء ثائرا إلى مقهى الفيشاوى حيث كاتب المقال وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وجعل يرفع ذراعيه فى الهواء متوعدا وقال :

- والله لأنتقصن أطرافكم ... والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب !

حتى إذا ما عمد أصحابه إلى إرضائه بوسائل الإرضاء المختلفة التى كانت هيّنة

عليهم ضحك وعاوده المرح والسرور ، ثم ما لبث أن تقلص وجهه وكاد الشرر يتطاير من عينيه ، وانتحى بنفسه وبقلمه وأوراقه ناحية ، وكتب هذه الأبيات التى تفيض أسى ومرارة :

تملـون من وصلـى ويغـــضـــبكم صـــدى
فـــواحـــيـــرتى بـين العــــداوة والـود
عـــــداوة ذى حـــــقــــــد وودّ مـنافـق
أأحــيــا صــريعــا للـنفــاق وللـحــقــد ؟..
شــربـت كــلا الكـأسين ســمّــاً وعلقــمــاً
فـــلاعـــون مــن إلف ولا رفـق من ضـــــدّ
ويـلهـــو بـى الأقـــران لهـــوا كـــأنمـا
أنا الكـرة الهــوجــاء تخطـفـهـــا الأيدى ...

وكان بعض معارفه يتخذون منه ملهاة وهدفا لفكاهتهم وسخريتهم .. فذات يوم دعاه بعضهم إلى طعام ثم أخلفوا موعدهم وتناولوا الطعام دونه ، ثم جعلوه حديث المائدة وفكاهة المجلس ، فبلغه ذلك فنظم هذه القصيدة اللاذعة :

حظـى ومـــصــــرعـــه فى لـين أخـــلاقى
وفــيض عطـفى علـى قــومى وإشــفــاقى
ومن حــبــتـــه الطّلا أخــلاف نشـــوتهـــا
عـــدا على الكأس طـورا أو على الســـاقى
بين الـنجــوم أناس قــد رفــعـــتــهــمــو
إلى الـســمـــاء فـــســـدّوا بـاب أرزاقى

ثم يشير إلى مجلسهم وطعامهم وما تناولوه من الحديث عنه فقال :

لم أدّر مــــاذا طـعـــــمـــــتم فى مـــوائـدكم
لحم الــذبيـــحـــة أم لحـــمى وأخـــلاقى ؟ ..

زواجـــــــه ! ...

تزوج الديب فى صيف سنة ١٩٣٩ من أرملة شابة تدعى السيدة إحسان أحمد كانت تقطن الطابق الأعلى الذى به حجرته وكانت امرأة وحيدة تعول طفلين أعجب بها الديب وأحبها ودعا الديب أصدقاءه إلى حفل عرسه فظلوا وقوفا فى الحجرة الخالية من المقاعد وكان الديب يرتدى ملابسه الرثة البالية وقدمت جارة عجوز للضيوف قهوة سادة فشعر الديب بالمرارة والأسى فنظم قصيدة « فى مأتم عرسى » :

لقـــد عللتنى بالرضـــا عن خـــصـــاصـــتى
وقـــالت مـــعـــاذ الصـــبـــر أن أتـألما
فلـمـــا رأت مـــبكـاى ريعـت وأقـــبـلت
تبـكى مـــعى عـــيـــشـــا وحظا تجـهـــمـــا
فـــيـــالك عـــيـــشـــا كلمـــا هم صـــاحب
يواســى عليـــه هـلهل الـدمع مـــرغـــمـــا
أقـــام لى الأصـــحـــاب عـــرســـا فـــمـــذرأوا
به مـــحـنتى تـشـــدو أقـــامـــوه مـــأتما
ولســت بمخـــتـــار الـشـــقـــاء أو الهـنا
فطـول حـــيـــاتى أشـــرب الكأس منهـــمـــا

ولم تمض به أشهر حتى برمت به زوجه (إحسان) بسبب حظه العاثر وبؤسه واندفاعه إلى الخمر والمخدر يدفن فيهما همومه وضاقت يد شاعر البؤس عن إعالة زوجته وطفليها بالرغم من محاولاته لإدخال البهجة والسرور على أسرته الصغيرة إلا أن حياته العائلية كانت مضطربة قلقة ورغبت زوجه إحسان فى الطلاق ، فنظم الديب هذه القصيدة الباكية الحزينة (*)

(*) الصباح - ١٥ مايو ١٩٤٢

أجـــــدك أضنـانى حــــديث رحـــيلـى
ومــا غـــيــر يوم البــعث يوم قــفـولى
ظننتُ مَـتـــاع العــرس يبـقى إلى غــد
وأنَّ بُكـورى بيـنـه ومــــــقـــــيلـى
وطـوَّفتُ بـالأحـــلام نشـــوان سـادرا
لـعـلـى بـلـذاتـى أبـلُّ غـلـيـلـى
لقــد رضـيت بى بعلـهــا ، وكــأنـهــا
تـطـلَّبت البـلوى بكل ســـبـــيل
رأت فـجـأة كـأسى تفـيض لـكأسـهــا
مــعـيـشـة أفّــاق وضـعـف ذليل
فــقـــالت وألفـت سـحتـى فى تغـضُّنٍ
مــعـاذ الرضـا أن يُسـتـشـاط حليلى
فــقلت حنانيك اغـفـريهـا جـريمة
فـمـا عُـرفَ الشـيطان زوج بتـول ! ..
رأيتـكِ لم يخـلـق ســواك فــريـدة
تفــردت فى حُـسن وفـيض قـبـول
فـأقـبلتُ لصـاً للجـمـال أصـيبُـه
وبعض المنى يُرجى بغـيـر عـقـول

فـأصـبـحـت قـربـاناً لحـبـي وفـاقـتـي
ضحـيـة عـهـد بل ضـحـيـة جـيـل

ولم يستطع الديب الوفاء بمتطلبات أسرته الجديدة ، فاضطر مرغما لطلاق زوجته وقلبه يبكي قبل دموع عينيه :

علـى الـرغـم منـي أن أطـلـق زوجـتـي
ومـالـي بـهـا فـي الـكـون أي بديـل
ولكـنني أخـشـي علـى الحـسـن فـاقـة
فـمـا اخـضـرّت الدوحـات بـين مَـحِـيل
إذا قـلّ مـالـي فـي هـواهـا فـإنمـا
وفـائـي لـهـا فـي الـعـيـش غـيـر قـليـل !

وطنية عبد الحميد الديب

عاش الشاعر عبد الحميد الديب فى ظروف اجتماعية وسياسية سيئة . رأي الاحتلال الانجليزى وثار عليه ... ورأى الظلم الإجتماعى وتمرد عليه ... ورأى الجبن والخور من الحكام وضاق به .. ورأى تكالب الأحزاب على السلطة والحكم وقاومه ... كان ذلك فى الثلاثينات وفى بداية الأربعينات ... كان متمردا أبدا ... ثائرا دوما ... وهكذا ثار الديب على كل تلك الأوضاع السيئة بعنف وقوة عارضة لا يرهب قوة باغ أو بطش أثيم ...

وأخذ الديب يدعو للتمرد والثورة على الاحتلال البغيض ولو كان ثمن الحرية الحياة نفسها :

واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاضبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسجن أصبح للبلاد سعيرا

وهو لا يضن بحياته ثمنا لحرية مصر وعزتها :

اليوم إما أن نعيش أعزة
أو أن نموت أعزة الأموات
هى ضجعة روحى بها فى جنة
ماذا يهم إذا فقدت رفاتى ؟

ويرى أن لغة القوة هى التى يجب أن تسود فى تعاملنا مع الاحتلال البغيض :

خلوا الكتابة للمدافع والظبى
فلقد كتبتم باليراع كثيرا

أنا شـــاعـــر لا كنت فـــيكم شـــاعـــرا
إن لـم أكن أســـــدا بمـصـــر مـصـــورا
خلـوا المفـــاخـــر لـلرجـــولة وحـــدها
تحـيـــا الرجـــولـة مـــبـدأ ومـــصـــيـــرا

وكان الديب يحلم باليوم الذى يرى فيه مصر القوية العزيزة الحديثة :

إنـــا لـــنـرقـــب لـــلـكـــنـــانـة دولـــة
مـلء البـــســـيـطة قـــوة وظهـــورا
يـبـنى الشـــبـــاب جـلالـهـــا وجـــمـــالهـــا
ويـذود عـنـهـــــا غـــــدوة وبـكـورا

وكان يرى أن حرية مصر وقوتها وعزتها لن يحققها إلا قوة السلاح وصلابة العزيمة :

إلـى الســـمـــاء فـــاصـــعـــدى
لا تـخـــضـــعـى لا تســـجـــدى
إلـى الـدمـــــاء لـلـدمـــــاء
صـــــوّبـى وســـــدّدى
إلـى الســـــلاح لـلـكـفـــــاح
لا تـراعـــى واجـــــهـــــدى

وكانت غاية آماله أن يرى مصر الحرة المستقلة العزيزة رغم كل أدوات البطش والقهر والعنف :

إلى الـســجــون أو نرى اســتــقـــلالـنا

فـــالســـجـن للأحـــرار جنات النعـــيم

ونفـــذوا إن شـــئـــتـــمـــو إعـــدامـنا

فـعـــيش الاســتـعــبـــاد فى نار الجـــحـــيم

* * *

وكان عبد الحميد الديب لا يؤمن بالأحزاب أو بجدواها ... فأخذ يشن حملة شعواء على تناحر الأحزاب وصراعاتها بالمعارك الفرعية دون أدنى أهتمام بمصر ومصيرها ومستقبلها أو التفكير فى كيفية تخليصها من قبضة الاحتلال الانجليزى الغاشم ..

ومع هذا فإنا نجد للشاعر قصائد فى الثناء على حزب سياسى بعينه ظن فيه خيرا وعلى رئيس هذا الحزب وقادته لم نجد فائدة ولا ضرورة لضمها إلى الديوان .

ولقد حمل الديب على السلطة الحاكمة فى عنفوان قوتها وسطوتها غير مبال بما قد يلحقه من أذى وبطش :

إذا لـم تـصـلـح الحـكـام فــــــيـنـا

فـــمـــا يـرجـى لنـا أبـدا صـــلاح

ثم يمضي إلى أقصى غايات الجرأة والتمرد فيهاجم الوزراء الذين شغلوا عن الشعب ومشاكله وما يعانيه من آلام وأهوال بملذاتهم ومطامحهم الشخصية فيقول :

أمـــا تســـتـــحـــون لهـــذا الخـــراب

وقـــــــد هــلــك الـطــفـل والمـرضـع

فـــهـــذا هو الـهـــول يـوم الوعـــيـــد

وكـلـكـم راح يســـتـــمـــتـع

أفـى ســـاحـــة الـكـون بـين الـدمـــاء

يـقـــام المصـــيـف أو المـربـع

رئيس الوزارة فوق السفين

يغنى بليلاه أو يسمع

تكال له المتع الوافيات

وللوطن الموت والمصرع

دعوا الحكم لستم كِفاءً له

وما فى هواكم لنا مطمع

هكذا أطلق النيب هذه الصرخة عام ١٩٣٨ فى عنفوان سطوة الاحتلال الانجليزى وحكم الطبقة المستغلة غير مبال بما قد يجره عليه هذا الموقف الصريح الشجاع من ويلات ومشكلات لا حصر لها وأهوال جسام ... وحسبه أنه آمن بوجوب تغيير نظام الحكم من أجل مصر ومستقبلها وعزتها ...

ثم يرى أن مصير هؤلاء السادرين فى ملذاتهم ومطامعهم الشخصية غير مبالين بالشعب وما يعانيه من أهوال سيكون رهيبا وأن لاخلاص لمصر إلا بقوة شبابها وعزيمتهم :

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبة

ما فى جهادكم لمصر نصيب

حتما سيأخذكم على أعناقكم

يوم بأخذ الظالمين قريب

يوم الشباب الطامحين وإنه

كغد لمن يرجو سناه قريب

ثم يطلق صرخة قوية ثائرة عالية يدعو للثورة والعنف والقوة والتمرد على الاحتلال البغيض فإن لغة الوعود الزائفة لم تجد شيئاً :

لم يجـــدنـا عـــــهـــد الكـلام وإن غـــدا
شـــدوا يفـــيض بســـاحـــر النـغــمـــات
فـــتـكلمـــوا نـغم النـضـــال مـــجـللا
بدم الـضـــحـــايا صـــادقى الـعـــزمـــات
لا تســـمـــعــوا إلاصـــراخ مـــقـــاتل
ورنين صـــمـــصـــام وقـــصـف قـنـاة
ومـــجـــاهد فـى الله يـغـــشـــاه الردى
فـــيـــصـــيح : يـاوطنى إلـيك حـــيـــاتى

* * *

هذا هو عبد الحميد الديب الشاعر الوطنى الصادق المحب لمصر ... الوفى لها ... وهذه لمحة سريعة من وطنيته وأشعاره التى تفيض وفاء وحبا وصدقا لوطنه .. وهى تصور حقبة هامة من حياته الخصبة العريضة .

في الوظيفة ! ...

كان الديب يشعر بالمرارة والحزن بسبب ضيق ذات يده ولاخفاقه في العثور على وظيفة وكان كلما تقدم ليطلب عملا طورد بطلب صحيفة السوابق فيئس من رحمة الحكومة واشتغل لفترة عند أحد الدجالين وكانت مهمته إطراء مواهب ذلك الدجال للزبائن !.. ولكنه ترك تلك المهنة كما ترك من قبل مهنته كمصحح في إحدى المجلات لقاء قروش وعاد لحياة الصعلكة والليل والحانات ! ...

وكان الديب يطلق صرخاته بسبب إخفاقه في العثور على وظيفة بسبب صحيفة سوابقه فيقول :

قـــالوا المؤهل .. قلت الجـــوع والعطل
يا أمـــة عـــز فـيـهـــا النذْبُ والرجل! ..

وامتدت يد الوزير الأديب عبد الحميد عبد الحق فعين الديب في وظيفة على الدرجة التاسعة بوزارة الشئون الاجتماعية بمرتب قدره خمسة جنيهات في نهاية عام ١٩٤٢ ... ولكنهم طالبوه بالمسوغ فاحتمى الديب بالوزير الأديب فقال :

أأبكي وحظي في حـمـــاك يـغـــرد ؟
وأفنى ولي ذكـــر إذا شـــئت يـخلـد ؟
وأشـقى شـقـاء الروض جـانبـه الحـيـا
وفي مـصـر أكـفـــاء بعطفك تسـعـد ؟
أتـركـبـني فلك النجـــاة وكـلمـــا
قـصـــدت به شطا يطول ويبـعــد ؟
فـــذد ضـــربات في الظلام تـنالني
إذا لم يـكن لي من حـيـــاتك منجــد ؟

وأسند الوزير له عملا فشمخ أنف الديب واشترى عصا يتوكأ عليها ترفعا وكبرياء ولكنه أفاق من نشوة الفرح بالوظيفة الجديدة حين رأى نفسه بلا مقعد أو مكتب يجلس من خلفه فى الوزارة مثل بقية الموظفين فبعث للوزير بهذا البيت :

بالأمس كنت مشردا أهليا

واليوم صرت مشردا رسميا

ولكنه لم ينعم بوظيفته طويلا إذ أنه فارق الحياة فى ٣٠ أبريل عام ١٩٤٣ (*)

(*) للمزيد من التفاصيل راجع « فيلسوف الصعاليك : عبد الحميد الديب » بقلم محمد رضوان إصدار مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

نهاية شاعر البؤس ! ..

يقول الدكتور زكى مبارك عن الأديب الصادق : (١)

(إن الأديب لا ينبغ إلا إذا ارتطم فى الغواية والبؤس وتلك سنة الطبيعة منذ خلق الأدب إلى اليوم ، ويكاد يكون من المستحيل أن يكون لرجال الأدب روح إلا إن صهرتهم الهموم والأحزان) هذا هو رأى الدكتور زكى مبارك وهكذا كان يؤمن شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب ! .. فبالرغم من أنه كان شاعرا بائسا ماجنا فقد كان يجد لذة فى الإمعان فى هذا السبيل ليخرج شعره كما كان يتخيل صادقا واقعيا ! .. وارتمى الديب فى آخريات حياته فى أحضان الكأس وإدمان الكوكايين فى حانة الحاخام بحارة اليهود يناجى صاحبته الشقية فاطمة ويبثها همومه وأحزانه بعد ما وجد أن الوظيفة التى أهتدى إليها كانت سرابا .. لضآلة المرتب ! ..

وصار الديب يذوب تدريجيا حتى انتهى كشاعر وكإنسان .

وكتب المرحوم كامل الشناوى يرثيه فقال : (٢)

(لقد جاع الديب وأكلت الماشية وتعرى واكتست الاضرحة ، وهو الإنسان وهو الفنان ياصديقى : كيف أبكيك ميتا وحياتك لم تُبقِ فى عينى دمعة أرطب بها ثراك ! ...)

* * *

أما بعد ، فتلك هى سيرة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب وهذا هو شعره الذى كان يتمنى أن ينشره فى حياته .. نقدمه اليوم لقرائه ومحبيه ..

* * *

وإذا كان أحمد حسن الزيات قد أرجع مأساة الديب إلى أن الطبيعة قد قست عليه ، فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عقيرته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه

١- ذكريات باريس – ١٩٣١ – ص ٨٤

٢- الاهرام – مايو ١٩٤٣

الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحمى ، أو شص يصيد وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جد وكد ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ، ولذلك قضى حياته البوهمية البهيمية شهوان لا ينام إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظمأ !

فإن د . زكى مبارك رغم رفضه لذلك الإتجاه الذى كان سائدا يومذاك بأن البؤس يذكى المواهب ويزيد فى يقظة العقول ، فقد أدان المجتمع الذى ظلم عبد الحميد الديب ، فذكر أن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فالديب لم يقتل نفسه عامدا متعمدا « فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم ياأشحاء » وقال موجها حديثه لوجهاء المجتمع « أنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف .

* * *

هذا هو الديب الشاعر البائس الذى رسم لنا لوحات صادقة صور فيها قصة بؤسه وحرمانه وألمه وعذابه تضعه فى مرتبة عالية مع أعلام شعرنا العربى المعاصر .

وقد اشتهر بأنه شاعر البؤس الذى لا يجاري ولا يبارى حتى وصفه – الشاعر طاهر أبو فاشا – بأنه الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا المضمار ، حيث كان لوناً متفرداً من المكدين من شعرائنا المحاويج الذين تنكرت لهم الحياة فتنكروا لها ، أو بعبارة أصح تنكروا هم للحياة فتنكرت لهم الحياة ، فهذه هى الحقيقة التى جمعت بين حراف الديب وانحرافه ، فقد كان ممروراً ساخطاً باستمرار ، ساخراً دائماً ، ماجناً على أى حال ، كانت حياته رحلة قصيرة فى حساب الزمان ولكنه ترك وراءه معها قصة دامية للفنان الذى ترتفع به موهبته ، وتهبط به نزواته ، فهو مخدور يسير فوق سحابة من الوهم تحمله من حى الباطنية أو حى الزهار . . أو مخمور يترنح ويحمل نفسه متثاقلاً من حانة إلي حانة ، فإذا دبت الحميا فى مفاصله راوده خداع السرور ، وأخذته نشوة السعادة الكاذبة ، فانطلق ينشد أناشيد الوهم والسراب !

هذا هو عبد الحميد الديب وهذا هو شعره النابض بالحرارة والصدق والعذاب ! ..

محمد رضوان

شعر

عبد الحميد الديب

البائس

أذله الدهر لا مال ولا سكن ..
فتى تزيد على أنفاسه المحن ..
إذا سعى فجميع الأرض قبلته ..
وإن أقام فلا أهل ولا وطن ..
مهاجر بين أقطار الأسى أبدا ..
كأنه بيد الأرزاء .. مُرتهن ..
كأنه حكمة المجنون يرسلها ..
من غير قصد فلا تصغى لها أذن ..

* * *

ثيابه كأمانيه ممزقة ..
كأنها - وهو حيٌّ - فوقه كفن
هو الهدى صرفتكم عنه .. محنته
إن العزيز مهين حين يمتهن
ألا فصونوه من أرزائه كرما
ولا تخلوه يورى شره الزمن
فربّ عزم يثير البؤس فيصله
فينبرى لسبيل الشر لا يهن

الطلل الباكى ...

لو أستطيع البكا يا أيُّها الطلَّلُ
بكيتُ حتى شكَتْ من دمعى المقُلُ
أرى الحوادثِ آساداً .. مُقذفةً
علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضْرته
وكم خَبا فى دياجى عُمرى الأملُ
وكم دعت لى أُمّى وهى باكية
وكم دعا لى أبى يقْظانَ يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم
وكلهم بمجالى رقتى ... حفَلُ ؟
حتى إذا سلموا للعَوْد وانصرفوا
سريْتُ جوعان يفْرى عزمى الكللُ

* * *

جوعان ! .. يامحنةً أربتْ على جلدى
كأن ليلى بيوم البعث .. مُتَّصل
كأنَّ حظى رحيقُ الدهر يشربها

بِكْـراً مــــعـــتـــقـــة فـــالدهـر بى ثَـمِلُ
فــإن تطلبتُ عـــيـــشى مت من كـــمَـــد
وإن تـطلبت حَـــيْـنى يبـــعُـــدُ الأجَـلُ

وصف راقصة ...

عَربدَ الحسن فَجُنَّ السامرُ
وعرا السُّمار أُنسٌ غامَر
رقصت أم زلزلت من رقصها
كلّ قلب فهو ناء ... حاضر
الشيوخ القُعْددُّ استجلوْابها
كل حسن ، والشبابُ الباكر
ذلك الرقص صلاةٌ وهدى
ودعاء مستجاب طاهر
ويد تستلهم الله التقى
وفؤاد بالأماني ... عامر

دمع المنازل ...

بَواد كـــــــــدار الخـلـد بـر المنـــازل
شَـقِيتُ فــمـــالى لا أفـوز بطـائل ..
أُقـــــضى بـه فـى لـيـلـه ونـهــــاره
مـــعـــيـــشـــة أفّـــاق ووحـــدة ثـاكلِ
وكم ســـألونى كـيف تشـقى مع الحـجـا
وفى شـعـرك الهـامى عـذابُ المنـاهلِ ؟
فـقلتُ بهـذا الشـعـر بؤسى وشـقـوتى
كـمــا قـتل الصّـدّاح زهْـرُ الخـمـائلِ
فــلا تســألونى عـن دمــائى وسـفكْهـا
سلـوا بدمـى الغـــالى جـــريمة قـــاتـلى
فكـم مـــرّت النُّـعـمى علىّ بسـيـــمـةً
فـــأبـعـــدهـا عنى وضـيـع الوســـائل

* * *

ورفض لـئـيم كــاشح الـصـدر حـــاقــد
مـنالىَ أرزاقى بـهـــمّـــةِ .. عـــامـل

* * *

بكتْ بلدتى حــزنًا علىّ وحـســرة

وأحــزن مــا أبصــرتُ دمعُ المنـازل

وكم نَدَبتّنى فى حِـمَـاها ضـريرة

تنوح بصــوت هَـالعِ الوقع ذابـل

وشــيخٌ أبـىّ الـدمع إلا بمحـنـتى

وفى ثوبه مــجــد الكرام الأمــاثـل

همــا والداى الصــالحـان كـلاهمــا

على شــدة البــأســاء مــوئل ســائل

فـيــارب .. إمــا نعــمــة من حــصــافتى

وإمــا حــيــاة فى حــمــاقـة جــاهل ! ..

بؤس الشرف

ياذلَّة العـــيش بين البـــؤس والشـــرف
عـــيشى هـو الموت في الحـــرمـان والتلف
إذا تناولتُ نجـــمـــاً فى مـــحـــاولة
رأيتـــه حـــجـراً صـــفـــوان من خـــزف
ولو كـــشـــفتُ كنوز الأرض مـــا ظفـــرت
يداى منهـــا بـغـــيـــر الحــــزن والأسف
لعنتَ يارب غـــيـــرى واغـــتـــفـــرت له
هلاَّ غـفـــرت لشاك غـيـر مُـقْـتـرف ؟ ! ....
أعـــيش فى أُمـــة ضـــاقت رغـــائبـــهـــا
بالدّرِّ وانصـــرفت حـــمَّـــالةَ الصَّـــدَف
يمضى العـــبـــيـــد بهـــا فى كل ناحـــيـــة
مـــحـــملين من الأنـعـــام والتـــحف
إذا رغـــبت عـــبـــيـــدا فـــالـتـــمس مـــلأً
بمصـــر يحـــيـــون كـــالأنعـــام بالعلف
أطـعـــــمت يارب هذى النـاس من ذهـب
ونحـن قـــيـــد الطوى نشـتـــاق للرُّغُف

وكنُت أول من يشدو لمؤتلف

فبتُّ آخر من يرثى ... لمختلفً

وضمنى الدهر والأموات فى جَدَث

نرجو المراحم من بَادٍ ومعتكفً

* * *

أبى ! ... وأين أبى حيّاً ووالدتى ؟ ..

لقد حسبتُهما فى صالح السلف

فالبؤس أبعد عنى كل مقترب

حزنا وقارب منى كل منصرف

وردّنى فى الصبا شيخا يضيق به

عطف القلوب سوى هاو ومحترف

وأطمع الوغد فى تبريح متربتى

وأركب النوْكَ فوق الصدر والكتف

أحييتُ بالشعر أمواتا فأهلكنى

لأن سلمى به حرب لمنتصف

لاهمّ ضاع شبابى وانتهى أجلى

ولم أذق نهلة من كوثر الشرف

معيشتى صدفة والموت أرقبه

مهما يطل زمنى من عثرة الصدف

أباة الضيم ...

دمــوع الثَّــواكـل لا الـغــانيــات
وسـؤل اليـتـيـمـات لا السَّـادرات
أقمْ وجـهـك السـمح فى المكرمـات
لـكـلِّ كـريم عـصـىٍّ الشّكـاة . .
فكـم مُـعـوزٍ قـد كـسـاه الإباءُ
حـصـانة ذى القـدر الغـاليـات
فـيـقـضى طوىً دون أن يجْـتَـدى
ولا يذكـر الجـوع حـتى الممـات
وأسـخَنُ من عـبـرات العُـفـاة
حَـبـيسُ الـبكـا بـعـيـون الأُبـاةَ

* * *

إذا أغـفل الـروض صـوبُ الربيعِ
يـحُـولُ إلـى بَـلـقَـع أو مـوَات
وإن أعـوز الحـسنً نـيلُ الكـفـاف
جـرى العُـهْـرُ للخُـرَّد المحـصنات
وكـم حطـم الـفـقـر كُنَّ الخـدور
فـذرّى به زعـزع الســافـيـات

وللصامتين وللصابرين

نداك ، وجنّبهُ مَنْ قال هات

لمن يصطلون وهم صابرون

لظى الفقر والمحن المهلكات

رجال نساء ، لهم في الممات

غرامٌ لفقرهم في الحياة

في وصف الحبيب

خــــلال أطلالـه رغم الـضنى جـــاســـا
صَبٌّ طوى الـعـمـر وجـدانا وإحـسـاسـا
ردَ الشـــبـيـــبـة كـــهـلاً من مـــدامــعـــه
رد الربيع هـشـيـم الـنبت حـــســـاســـا
بـكـى بـكـاءين مـن قـلـب ومـن بـصـــــر
وصب دمـــعين مـــتـــلافـــا ومـــتـناســـا
أحـــبـبت والبـؤس تـقـصـيني مـخـاوفـه
فـــبت أضـــرب للأســـداس أخـــمـــاســـا
أحـــبـــبت أنعم من حـــدثتـــه ، رشـــأ
به ســـمـــات الـهـــوى روحـــا وأنفـــاســـا
بـه شـــــحـــــوب يكـاد الـصب يأكـلـه
أكـــلا ويـشـــربـه دون الطِـلى كـــاســـا
وإن تـكـلـم فـــاســـمـع أيمّـا ضـــحـك
يريـك أي جـــمـــال يـســـحـــر الـنـاســـا
لو كـــان مـــقـــول "غـنـدى" من رخـــاوته
مـــا قـــسم الهند أطـهـــاراً وأنجـــاســـا
وإن تـثـنى عـلى كـــــرســـــيِّـــــه ورنـا
فـــاســخـــر من الـبـان صـدّاحـــا ومـيّـاســا

مصرع الحظ ....

حظى ومــصــرعُــه فى لـين أخــلاقى
وفــيض عطـفى علـى قــومى وإشــفــاقى
ومَنْ حَــبـتْــه الطِّلا أخـلاف نـشْـوتهــا
عــدا علـى الكأس طـوراً أو علـى الســاقى
بين الـنجــوم أناس قــد رفــعــتــهــمُ
إلى الســمــاء فَــســدُّوا بـاب أرزاقى
وكنـت نُوح سَـفـينٍ أُرسِلتْ حــرمــاً
للعــالمين فــجــازوني بإغــراقي
وكم وقــيـت الردى من بتّ مــضـطربـا
فـى أســره المرّ لـم أظـفـــر بـإطلاقـى

* * *

يـاأُمــةً جــهِلتْـنى وهى عــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشــــراقى
أعــيـش فــيـكـم بـلا أهل ولا وطـن
كــعــيش مُنْـتـجعِ المعــروف أفَّــاقِ
ولـيس لـى من حــبــيـب فى ربـوعكـم

إلاَّ الحَـــبـيـــبيْن : أقـــلامـى وأوراقى

ريشَت لغـدرى سـهـام مـن نميـمـتكم

فـصـارعـتـنى ومـالى دونهـا واق ...

لم أدر مـاذا طعـمـتم فى مـوائدكم

لحم الـذبيـحـة أم لحـمى وأخـلاقى ؟ ..

* * *

قـالوا غَـوىٌّ شـقىٌّ قلتُ يـاعـجـبـا

قـد امـتُـحنتُ بفُـجّـار وفُـسّـاق

ومـا تألمتَ من خَطب ضـحكتُ لـه

كـمـا تـألمتُ من خَطبى بعُـشَّـاقى

أنا على القُـرْبِ منهم كلُّ مـتـعـتـهم

وإن نأيتُ حَـبَـونَى فَـيْض أشـواق

فـمـالهم قـد أشـاعـوا كُلَّ مُـخْجلة

عـنـى ، و أعـلـنـوا بـؤُسـى بـأبـواقَ

كـصـاحب الطَّيْـر لا ينفكُ يـسـجنه

سـجنين من قـفصٍ مُـضْنٍ وأطواق

* * *

حظى هـو الأيكة الخـرسـاء ذابلة

هو النسيم سَـمُـومـاً غـير خَـفَّـاق

هو الســحــاب جَــهَــامــاً والندى أَسِناً
هو الـضـيــاء لهــيـبــا حين إحــراقَى
كــأنهٌ أذرع شَــلاءُ راحــتــهــا
أو أنه أعينٌ من غــيــر أحْــداق
لا تــســألونىَ عن بؤسى وعـلّتــه
سلوابه الحظ مَــيْــتــا فــوق أعناق ! ..

غنى الجار ...

أهلٌ بهـــا لـله راضــــيـــةً نفـــسى
وأشــربهــا فى الـصــبــر مُـتـرعـةً كـأسى
عَـلَى مـــوهـبـــاتى ألـف دَيْنٍ لأمـــتـى
على أننى فـــيـــهـــا لدى مِــحَــنِى منسى
رفـعـتُ حـجـاب الشـمس فـيـهـا فـأطلعتْ
عَلىَّ الـنهـار الـصـحـو خلواً من الشـمس
واحـــتــمل الدنيـــا كـــأنىِّ خلـقـتـهـــا
وأن جـــمــــيع الخلق عُلِّقَ فى رأسى

* * *

إلى الـقـــرب منى كـنز قـــارون مـــاثلا
ولمَّا أنـلْ منـه ســوى حُــرقَــة اليـــأس
فـــفـى بـيت جـــارى آثـر المـالَ وكْـــرهُ
فَـيُـصــبح فـى لَمَ الثــراءِ كــمــا يمسى
وجـــارى جـــمـــاع البـــاخلين وظلـهم
فلم يَدْعُ مـحـــرومـاً بعـيـد ولا عـــرسِ
له أســـرة كـــالروض زهـراً وصَّـادِحـاً

فَمَنْ شَامَهَا ألفى ملائك فردوس
بنون ، بنات ، مثل ورد منضَّرِ
يمرّون كالإصباح معتدل الطقس
يمر على سُكْنَاى فى ذَيْلِ بيته
مرور عيون الموسرين على الفُلس
تكبَّرَ فالألفاظ منه إشارةٌ
كأنَّ عباد الله طُرًّا من الخرس
وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه
كنفخة ذي جاه ومال من الفرس

* * *

صحوت على قَصْفِ الرّياح وصوته
وما أحدث الطرق الخَليع من الجرْس
يطالبنى بالأجر فى غيظ دائنٍ
تصّيده المحتال بالثمنِ البخسِ
وقال يدارى ظلمه : أيٌّ ضامن
لسُكْنَى تَعَرَّتْ عن سرير وعن كرسى ؟!
أَراك بها كل الأثاث ولا أرى ...
سوِى قلم ثاوٍ على الأرض أو طرس ! ..

* * *

فـقـلت له : هـذى جـدودى كـمـا ترى
فـمـا مسكنى فى البـيت ، بل أنا في رمـسى
وقلـت مـعـاذ الدَّيـن مـا كنتُ مـرة
غـريماً ولا أذلـلت يـومـى ولا أمـسى
وأسـمـعـتُـه صـوت الدراهـم فـانحنى
يقـدم أعـذار اليـهـود من الـوكس
وأخـضـع فـقـرى كـبـره وثراءه
وأىّ غِنىً للمـرء غـيـر غِنَى النفس ؟ ..
إذا كـانـت السكنى بأجـر مـذلـةً
فـمـا أرحب المجّـان في غـرف الحـبس
فـإنـى أرى فـيـهـا الطعـام ، ولا أرى
غـريما ، يُلاقـينى بعـارضـة النحس
وإن لم أجـد فـيـهـا الطعـام مـيسّـرا
فـإنـى رضىّ البـال .. أطعم من حـسى ! ..

يارية الدار ...

يـــاريــــة الـــدار لا تـــرثــــى لأرزاقــــى

قـــد قـــدر اللـه إســـعـــادى وإمـــلاقى

مـعـيـشــتى بين مـصـر أصـبـحـت مـثــلا

لـعـــبـــقـــرىٍّ غـنـىّ النـفس أفّـــاق

والـبـــؤس يا هـذه حـــبـلى وآصــــرتـى

إلى الـســـمـــاء تريـنى فـــيض خــلاّق

يالـلـمــــدامـع من خـــرســـاء نـاطقـــة

تـذيع حـــــرمــــانـنـا مـن كل إنـفـــاقِ

* * *

لم أبك جـــوعـــان أو ظـمـــآن بل شـــغـــفـــا

في رق ســـجـنى إلى عـــتـــقى وإطـلاقى

وعـــــــز أنمـاط قـــــومى مـن ثـرائـهـمُ

يـفنى ، وعـــزّىَ من بـؤسى هـو البـــاقى

عـــزّى بـصـــبـــرى وإيمانى وتضـــحـــيـــتى

وبالحـــفـــاظ على دينى وأخـــلاقى . .

تبـكين مـن طول تـبـــريـحى ومـــســتـــربـتى

ومنْ جـــــراحيَ في قـلبي وآمـــــاقي ..
وأنت ورقـــــاءُ روضي ليس يَقْــــدحُني
ســــوى جـــــواك على غـــــصني وأوراقي
أنا الـذبيح مـــدى عـــمـــرى ومن عـــجب
أني حُــــرمت بـخطي كـل إشــــفــــاق

في مأتم عرسي ! ..

لقَــد علّلتْني بالرضــا عن خــصَــاصَــتي
وقــالــت مــعَـــاذَ الــصــبـــر أن أتــألما
فلــمـــا رأتْ مَـــبْكــايَ ريعَتْ وأقـــبلتْ
تُبكّي مـعي عـيــشـــاً وحظًّا تجــهّــمـــاَ
فــيــالــك عـيــشــاً كلمــا همّ صــاحبٌ
يُواسي عليـــه هَــلْهلَ الـدمع مــرغــمـــا
إذا ســجــعــت ورقــاءُ تبــعــث فــرحــتي
تنوح غـــراباً فـــاحم اللــون أســخَــمَـــا
وإن هُيـــئت لي بــالمدامـــة مـــتـــعـــة
رأيتُ مــريرَ الحــزن بــالكأس خـيـــمـــا
وقــد مـــرّ بي عــصـــر الشــبــاب ، كـــأنما
طلعـت على الدنـيـا مـشـيـبـاً مـحطمًّـا

* * *

أقــام ليَ الأصــحـــاب عُــرسـاً فــمــذ رأوا
به مـــخـنَتي تــشــدو أقـــامـــوه مـــأتما
وروّى الــعطــاشى من نمَـيـــريَ بيــنـمـــا

سُـقـيت به مُـهْـلاً حـمـيـمـا وعلقـمـا

لـقـــد نجح الإجـــرام حــــتى رأيتنـى

إذا رمُْتُ بعض الـعيش أصـبحتُ مـجـرمـا

ولسـت بمخـــتــــار الـشــقـــــاء أو الهـنا

فطـول حـيـــاتى أشــرب الكأس منهـمـــا

لقـــد حـــســـدونى ليـــتنى كنت دونـهم

فـؤادا وأقـــضى بعض عـــمـــرى منعـمـا

وتغــرى بأحــزانى خطوبى فـــاعـــجـــبـوا

إذا عـــشتُ يومـــاً مـؤمـن القلب مـسلمـــا

عيد بؤسى ..

مَنْ زائرى فى العيـــد ؟ .. من بالبـاب ؟..
وهمٌ فـقـدتُ به رشـيـد صـوابى
مَنْ ذا يطُالعُ سحْنةً مُغْبرّةً
فكأنَّهـا لَعُنتْ بكل كـتـاب
ياغـرفتى ما عِشت أحبُوك الرضـا
فلقد حجبت عن الورى أوصـابى
فـعلى ثَراكِ عفـرَتُ جسمى نائمـاً
كثـرِي البقيع لعـابد أوَّاب
ورقـيـتنى فى مدمعى وشكايتي
أذنَ اللئيم ، ونظرة المرتاب
جُنّ الظلام وقد توارى عيدهم
وذوى رواء البشر والترحاب
فخرجت بعد العيد أخفى شقوتى
متظاهرا بالزهو والإعجاب ! . .

* * *

مـا آذنى إلا بكاء حليلتى

حـــزنا لـبـــؤس شـــبـــابـهـــا وشـــبـــابـى

تـرنو إلـى جـــيـــرانـنا فـى يـســــرهـم

رنو الـيـــبـــاب إلي هـمـــيـل ســـحـــاب

وهى الـصـــبـــور إذا عـــرتـنا مـــحـنةُ

لم يـدر غـــيـــرى مـــا يخـــبئْ بابـى

وإذا انـتـــصـــرنا فـى حـــروب مُـــرّة

فى عـــيـــشـنا عـــفّت عـن الأســـلاب

والناس مـــهـــمـــا أســـعـــدوا فى عـــيـــدهم

صـــرعـى خـــراف فـى ســـعـــار ذئاب

حـــرم الأناسىّ الـلحـــوم وإنهـــا

قـــد أصـــبـــحـت فى مـــصـــر طعم كـــلاب

ولو أنـهم وصـلـوا الفـــقـــيـــر بعـــيـــدهم

مـن رزقـــهـم لـنجـــوا مـن الأوصـــاب

* * *

أنـا جـــالس فـى مـــوكب حـلقـــاتـه

ضـــمـت أعـــزّوجـــاهـة وجنـاب

مـن كل مـــزحـــوم الـطـرائق لـلـغنـى

أو والـغ فـى الجـــاه والألـقـــاب

أو مـــدّعٍ أن الـنبـــوة أصـلـه

متطاول بوجاهة الأنساب
كشفت رجولتهم وجوه خصاصتى
فرأت بها وردًا لكل سراب
قد زوروا هيباتهم وتفننوا
فى كرنفال البأس والإرهاب

* * *

والبؤس أعمى أو أصم ، فأهله
نهب لغش الداعر الكذاب
غرقى بأمواج الحياة وربما
ينجو الغريق بواهن الأحطاب
قد خلت بالأصحاب بعض هناءتى
واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب
هم قادرون وما تشاء خلالهم
أن يكشفوا كربى وسوء عذابى
لكنهم حذقوا الهروب من الندى
بملامتى فى شقوتى وعتابى
والجسم أصرح فى الردى من خمرة
فيها الردى من تالف الأعناب
ذبحوا الخراف مخافتين وجددوا

في عـــيـــدهم من فـــرحـــة وثيـــاب
أنـا لست أســـتـــجـــديهم لكـنني
منهـم أقـــر براءتي ومـــتـــابي
إن فـــاتـني عـــيـــد الحـــيـــاة ويســـرها
ســـأرى هـناء العـــيـــد يوم حـــســـابي !

فى الحانة المظلمة ...

ياحانة من طلاها تشرب الكاسُ
وفى دجنتها للقلب إيناسُ
شذى المدام وأرواح السقاة لها
كالروض عطرّه النسرين والآسُ
ياشادنا فى يديه الكأس فاتنة
كأنما خمرها حُبّ وإحساس
إلىّ فاتنة النّدْمان واستبقى
هذا الغزال فمنك القدّ ميّاس
والنهد ؟ .. يا ويلتى من حالم هزج
إلى التوثّب منه يرفع الراس

* * *

يا لائمى فى الطّلا أفرغتُ منك يدى
فأنت فى حُرمات الخلد دسّاس
قل للخليين من يصحون من غسقى
أنتم على طهركم بالماء أنجاس
كل العباد سكارى فى معيشتهم
والسكر كالخلق أشكال وأجناس

شم الكوكايين

أفاطمُ إن الناس قد أكلوا عرضى
ويتّ لعيناً فى السموات والأرض
يقولون « شَمَّامُ» وما شمّ معْطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغضِّ
معاذ شبابي أن يبيت نضيره
هشيما وأن أقضى على جسمىَ البض

* * *

أليس بياض « الكوكيين » مبشّرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى ؟ ..
فمن فقد عقلٍ كان مبعث حكمة
إلى البؤس فى ذل السؤال أو القرض
إلى السجن بين المجرمين يؤودنى
زمان كيوم الحشر يأتى ولا يمضى

لماذا البؤس ياربى ؟ . .

أيهنيك أن أبكي وعـــيـــشك ؛ يبـــسمُ
ويرضـــيـك تَبّـــريـحى وأنـت منّعمُ ؟ . .
مـضى العـمـــر لم أُدرك به يوم مـاجـد
وأنـت على طـول الحـــيـــاة مكـرَّم
وجـيـع لنفـسي أن أرى مـنك فَــرْقَـدا
وأنـت الثّـــرى تعـلو علىّ وتعـظم
وفى قـســمــة الأرزاق عـدل وإنما
هُنالكَ سـرٌّ فى الســمــاء « وطلسم»
فـيـــارُبّ مـحـروم من الرزق مَـحْلهُ
لـكل عــبــاد اللـه خـيـــر وأنعم
وفى قلبـه المقـــهــور نفس نبـيـة
تحـدّث عن ســر القـضـا وتتـرجم
وُربَّ حظيظ لـيس يدرى غـــبـــاؤه
أجنة خلد عـيـــشـه أم جـــهنم ؟ . .
إذا الناس لَم تنقـم من الـديب حـاقـــداً
فـلـلـذنب تـلـو الـذنـب الـلـه يـنـقـم

أأكــفــر مـن بؤسى بـأحكام خـــالـقى ؟ . .
كَـــفى بِـىَ رزقـــا أننّى الـدهر مــــسـلم
لمـست حـــــدود الأربعـين وكـلـهــــــا
لعــينـى كـغـضـبـات البـــراكين مظـلم
إذا عظـمـت بأســـاء عــيـشـى ومــحـنتى
فــصـبــرى عـلى البـأســاء أقـــوى وأعظم
ولستُ كــمـــا ظنّ العـــواذل خــامـــلا
ولـكـنـنى فـى صـــرعـــة الموت مـــرغـم
إلـى وثـبــــات فـــــوق رأس نـوائـيـى
وإلا فـــإنـىّ دونهـــا ســـوف أعــــدم
فـلـيـس بحـّىٍ من يُرى مـــتـــســـوّلا
ومـن دونـه الأوشـــــاب تـغـنـى وتـغـنـم
إذا المـال لم يـشـف الـغـلـيـل مـن امـــــرىء
فــــأشـــفى مـن المـال المنـيـــة والـدمٍ
وإن أنــت لم تـدرك حنـانا لـعــــيـــشـــة
فــــــإن الـردى أحـنـى عـلـيـك وأرحـم
* * *
رضـــيت رضـــاء الحـــاقـــدين وإنه
لأولـى لنـفــــسى فى الحــيـــاة وأسلم

فــإن لم يُـفــدنى فــارقــبــونى جــريمة
إذا عـاش فـى مـصـر صـفـيق ومـجـرم ! . .

ثورة مظلوم ...

شـقـــيت إلى أن قـيل قـد ذلّ واجــتـدى
وأصـــبــحتُ لا صـــوتاً أرجّى ولا صـــدى
مـن الظـلـم تحطيم الحـــســـــام لأنـه
بكـل جــهـــاد فى الحــيـــاة تجـــرّدا
وقــطـع يــدِ فـى الـلـه والحــق حــطّـمـت
ســجــونا ، وفكت من أذاها مــصــفّــدا
وحـــرمــان مــوهوبٍ من اليـــســـر بينمـــا
كــســا اليـســر أوشـــاب الكنانة عــســجــدا

* * *

شـكوتُ ، ومـــا شـكـواى ضـــعف وذلّـة
فلـست بمـســـتــجـــد ولا طـالبـــا يدا
ولـكننى أفـــحــــمتُ ظـلمـــاً بمنطقِ
من الدهـر لم تبلـغ غـــبـــاوتـه مـــدى
دمى دم أكـــفـــاء الحــيـــاة ونـظرتـى
بهـــا للمـــحـيط الضـــخم لا الطل والـندى
أجـــدّد للـدنيـــا نشـــاطى وهـمـــتى

فتنفحني الدنيا شقاء مجددا
تُسوّل لي نفسي المنون لأنني
أرى خير ما ينجي من العالم الردى
فأمسك ضناً بالشباب وبالحجى
وأبقى على عمري فلا ينتهي سدى
أأسْجنُ من عون اللهيف وغوثه
ونصرتيَ المظلوم سجنا مؤبداً ؟!
أيبئسني قومي لأني شاعر
أهلهل في الآلام شعرا مخلدا؟ . .
وشدتُ كما شاد النبيون شرعة
تنزّل فيها الوحي شعرا مردّدا
وقلت ، وقال الناس ، لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا فأربيتُ منشدا

* * *

يمينا لئن لم يؤمنوا بقضيتي
لأُمضي إليهم سهم ظلمي مسدّدا
سأرقب عدلاً من قضاتي فإن أبوْا
أبَتْ قوتي في الهجْو أن تتقيدّا

موت الشيطان ! . . .

كل شئ أشهد الله عليًّا
فرّت الدنيا جميعا من يديّا
لا تقل لى كيف تحيا سادراً ؟ . .
أنا ميْتٌ بين قومى لست حيّا
سرٌّ هذا البؤس أنى شاعر
قد أفاد الدهر منى عبقريّا
عندما كنت بحانى شارباً
كنت أصغى للمصلى يتهيّا
رنّة التكبير فى سمعى محت
رنَّة الكأس وأودت بالحميّا
والمصلّون لدى تسبيحهمْ
صيرّوا الندمان فى عينى نِسيّا
مظهر التسبيح والتقوى بهم
قد سقانى الكأس إيمانا سريّا

* * *

ياصبوحى يا غبوقى ضَلَّةً

لـكمـــــا منى بكـورا أو عـــشـــيّـــا
وهـبطـت الـروض والـلـيـل سَـــجَـــا
قـــــد أجنَّ الـطـيــــر والـورد الـنـديّـا
كـل مــــا فـى الـروض حــــتـى تـربـه
سـبّـح الرحـمـن تـسـبـيـحـاً خـفـيّـا
وهـــنــــا أدركـــتُ أنـــى لـــم أعـــش
وأنـا المسـلـم إلاّ جــــاهـلـيّــــا
قـــد تـخـــذت الـشــعـــر تـوحــيـدى ولم
أتطـهّـــر فـــجنى الشـــعـــر عليّـــا
بـيـنمــــا أُســــرف فـى وصـف الـطَّـلا
والـهـــوى لـم أدّخــــر لـلـه شـيّـــا
أنـا أو إبـلـيـس لـلـدنـيــــا عـــمـى
هـو خــــافٍ وأنـا أبـدو جـلـيّــــا! . .

* * *

قـلـت ربـى : . . وأنـا جـــــاث لـهُ
فـــحـبـــانى لـطـفُـه قـلـبـاً رضـيّــا
تُـبْـتُ مـن ذنـبـى ومـن تـرجـعَ بـه
نـفـــســـه لله يـبــعـــثـه نـقـيــا

تـوبةٌ مـن بعــــد أن فـــزت بـهـــا
كـل شيءٍ صـــارفى عــــينى هنيًّـــا
فـــتـــرانى فى الســــموات الـعــلا
أصـــحب الـشــمس وتعنولى الثــريّا
ولـدي ســــدرتهــــا فى مــــوكـب
مـــا حَـــوَى إلا مـــلاكـــا أو نـبـيّـــا
وعـلى الأرض شـــهــــابا لامــــعـــاً
من صــــفـــاء الـقـلـب أو نور المحــيّــا
فُــــتـــحتْ أبـواب أرزاقـى بـهـــا
فـــســـقـــانى خـيـــرها شـــهـــداً وريّا
ونـأت عنى هـمــــومى بـعــــدمـــا
أصــــبح القـلـب من الـدنيــا خليًّــا

* * *

وسـل اللـيل فـــمـــا أغـــفـــو بـه
غـــيـــر أرمـــاق ، ومـــا تجـــدى عليّـــا
هـذه آية عــــشــــقى كـلمـــا
جُـنّ ليـلى ظَـلْتُ ســـهـــرانَ مـليّـــا
لا يـواتـيـنـى الـكـرى حــــــتى أرى

طيف حبى ، فأُحيِّى وأحيَّا

فإذا حدثتنى ألفيتنى

غائب المهجة لله نجيًّا

* * *

أين شيطانى وأينت ريحه ؟ . .

كان يهفو فى الدُّجى روحا عتيا

أكله أو شربه من هجرتى

فى ظلام الشك آفّاقاً شقيّا

فقضى يوم الهدى إذ لم يجد

أى شِرْع ينتهى منه إليا

جنة المحراب تشوى جسمه

وأنا لم أغشَ بيتاً أو نديّا

مات شيطانى ، وهاكم جنده

هيمنوا بالدمع أشباحاً بُكيَّا

في غرفتي . . .

أفي غُــرفــتي يــاربُّ أم أنا في لحــدي ؟ . .
ألا شــدّ مـــا ألقى من الـزمن الـوغــد
وهـل أنـا حـيٌّ أم قَـــضَـــيْتُ وهـذه
إهابـة اسـرافـيل تبـعـثني وحـدي ؟ . .
لكم كـنت أرجـو غـرفـة فـأصـبتُـهـا
بنـاء قـديم العـهـد أضـيق من جَـدّي
فـأهـدأ أنـفـاسـي يكاد يـهـدُّها
وأيـسـر لَمْسٍ في بنـايتـهـا يُـردي

* * *

أرى النـمل يخـشى النـاس إلاَّ بأرضـهـا
فـأرجلـه أمـضى من الـصـارم الهـندي
تسـاكنني فـيـهـا الأفـاعي جـريئـة
وفي جـوهـا الأمـراض تـفـتك أو تُعـدي
تراني بهـا كلُّ الأثـاث ، فـمـعطفي
فـراش لنومي أو وقـاء مـن البـرد
وأمـا وسـاداتي بهـا فـجـرائد

تجـــــدد إذ تبـلى عـلـى حـــجـــر صلـد

* * *

تعـلمت فـــيـــهـا صـــبـــر أيوب فى الضّـناَ

وذقت هزال الجــوع أكـثـــر من « غـــاندى »

جـــــوارك يـاربـى لمثـلىَ . . . رحــــمـــــة

فـــخُــذنى إلـى النيـــران لا جنة الخـلد ! . .

كيف أعيش ؟! . .

نهـــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد
غـــــرارا ، وإمـــــا بـالـطـريـق تسكّعُ
وأطوى عـــصىّ الليل فى القـــرّ ســـاعـيـــاً
ومن أيـن للأفـّــاق فى الكـون مـــهـــجع
إذا أذنوا لـلفـــجـــر . . . طرت مـــســـرة
إلي مـــســـجـــد فـــيـــه أصلى وأضـجـع
أصـلـى بوجـــــدان المرائـى وقـلبـــــه
وبئـــست صـــلاة يحـــتـــويهـــا تصنع

* * *

أمـــرّ على المقـــهى فـــأســـمع شـــامـــتـــا
يمـزق فى عـــــرضى وآخــــر يشـــفـع
وقـد ســـاء ظنى بالـعـــبـــاد جـــمـــيـــعـــهم
فـــأجـــمـــعت أمـــرى فى العـــداء وأجـــمـــعـــوا

الحبل المنقطع ...

ريعَ الحبيسُ ببلواه فما جزعَا
والجرح كل مدى إبلاله وسعا
حَملتُها طعنات لَوْ بواحدة
منها مُنى «هُملايا» مال وانصدعا
ونافسين عليَّ الشعر فى حسد
وما سوى الشعر فى حَرْبى لهم شفعا
وقاطعين طريق العيش أسلكه
وقَطْرُ غَيثى بقومى بينهم همعا
وما قنعت بدون إنه شرف
بالموت دون حياتى بالرضا قنعا

* * *

ياذابحى الشاة فى أفراح عيدكمُ
هَلاَّ بعثتم لنا من لحمها قطعَا ؟ . .
يالابسين جديدا فى ثيابكم
هلا بعثتم لنا المتروكَ والخلعا ؟ . .
رُدُّوا علينا شباباكم دَجًى ودجى
وليل شيبكمو باليسر قد سطعا

رَمَـيتُـمـوني بأخـلاق مـجـرّحـة
حـتىّ رأيتُ مـقـامي بينَكمْ وضـعـاً
فـسـرْتُ سـيـر ذبيح مُـهـدر دمـهُ
صِـحـا فـهمّ فـجـاء الموت فـانـصـرعـا
إذا وصلتُ بكم حَـبْلي مـسـايرةً
أتت عـليـه مُـدى الأضـغـان فـانقطعـا

حرمان . . .

رَفَعنَا حِجَابَ الشمس ، أين سَنَاهَا ؟ . .
ودنّا رياضَ الخلد ، أين شذاها ؟
تَجَافَتْ بنا الدنيا ونحن سَرَاتُهَا
وضاقت علينا أرضها وسماها
ومن يُرْمَ بالدنيا الفقيرة فليكن
على الرغم منه أُمها وأبَاها

* * *

تحطّمت بالحرمان لولا علالةٌ
تمرغ فقرى فِى وضيع ثراها
أنافق فيها مُكْرهًا لخصاصتى
وأبذل نفسى أن أنال حياها
وأستشفع القَدْمَ الضعيف بمحنة
بها فاض همّى يائساً وتناهىَ

فى السجن ! . . .

لـه بفـــــــؤادى لـذّة ووجـــــــيبُ
وفـــــيـــــه لـقـلبى بلـسم وطبـــيب
مــــلأت به الـدنيـــا هوىً وصـــبـــابةً
وهلهلت فـــيــــه الحب وهو جنيب
ومـــا صـــدّ عنى أو لَوىَ دون حـــاجـــتى
ولكـن أخــــلاق الجــــمــــيل غـــريب
تـهـــــــدهده كـــــالطـفـل إن أنّ أوشكـا
ويغُــــرى بك الأشـــجـــان وهـوطروب

* * *

لقـــد شـــبـعت فيّ الأعـــادى شـمـــاتةً
وبتّ ومـــالى فى الـوجـــود حـــبـــيب
وأصـــبـــحت مـــسـجـوناً بـدار بعـيــدة
تجـــافى بهـــا خلٌ وبان قــــريـب
أأصـبـح مـسـجــونا ومـاكـنت مـذنبـا
ولا حـــزبتنى فى الحـــيـــاة ذنوب ؟ . .

* * *

وإخـوان سـجن قُـبّـحت من وجـوههم
هـمـــومٌ تـوالى دائـمـــا وخـطـوب
فـــمنظرهم أضــحـوكــة كلبـاسـهم
ومـــخـبـــرهم فـى الحــادثات رهـيب
لقــد كنت فـيـهم يـوسف السـجن صـالحـا
افـــســـر أحـــلامـــاً لـهم وأصــيب
وكم لـيلة في الـسـجن بـين صـبـاحـهـا
وبين دجـــاهـا مـــشـــرق وغـــروب
فــيـحـيـا رجـاء فى الحـيـاة مـوسـوس
ويمحى بهـــا فـــجـــرٌ أغـــرّ قـــريب
وكل ضـــيــاء فـى الغــيـابة خــادع
فـــفـجـــر الأمـــانى للـســجين كـــذوب
لـنـا هجـــــرة في الـهـم لـم نَـدْرِ عندهـا
مــتى ننتــهى من هـولهـــا ونؤوب

السجن أحب إلىّ . . .

لُذْتُ بالسجن بقلب بَهِجٍ
مرحبا بالضيق دون الفرجِ
ههنا داري وأهلي ، وهُمَا
كل ما أرجو ليوم الحرج
ولج السجن يرىٔ طاهر
وأخو زلاته لم يلج
ناء بالأبرار عن جناتهم
إن رب الفسق مبرور نج
هكذا الدنيا رأينا ليلها
في صباح واضح منبلج

* * *

أيّها الورد انتحر لا تتئدْ
قد تجافى دهرنا بالأرج
أيها الطير إلي الموت فقد
صمّت الآذان عن كل شجِ

* * *

أنا من قالوا خليعٌ مرح

وطوال العمر لم أبتهج

غصّ بالوثبة منى أعرجٌ

فرماني حقده بالعرج

ما أصاب الخير في مصر سوى

ساقطٍ فى كل دَرْك سمج

والذى خَلد من آثارها

حجر يفدى بحرّ المهج

ربَّ لا نشكو ، فكم من محنٍ

لم نجد فى كربها من فرجٍ

قد فضضنا سترها فانكشفت

من يرح فى هجرة الهمّ يج

سرقة لحافى ! . . .

(سرق لحاف الشاعر البائس الوحيد الذى كان يتدثر به فى ليالى الشتاء الباردة فرثاه بهذه القصيدة) .

لحافى ، وهل غير الهبَاء لحافى ؟ . .
بقيَّة نَسْجٍ دارسٍ ونداف
أطافَ به لصٌّ فقير كعيشتى
فيا بُؤسَها من هجرة ومطاف
ولم أخش من ذا الرزء إلاَّ فضيحتى
بأنى قد ملَّكتُ شرَّ لحاف
فليتك يالصى الجرىء وجدتنى
غنّيا وسعدى فى الحياة موافى
ويا ليتنى ما كنتُ صيدك إنَّما
سرقتَ لحافى جاهداً وشغافى
ويا ليتنى دون اللحاف ضحية
فإنى صديقٌ فى الحياة مُوافى ! . . .

* * *

فكم ليلة تحت اللحاف قضيتُها
أسامر أحلامى وطيفَ سُلافى

وكـم ذا وقـــانى الـبـــرد فـي جُـنح لـيلـة
بـهـــــا الموت مـن كـل المواجـع شـــــاف
لقـــــد ضـــاع منى ذا الـغطـاء ، فـــهـل ترى
أُدثِّرُ شـــعــــرا ضَـــافـــيــاً وقـــوافى ؟! . .

شياطين الملائكة ! . . .

سلى فــــؤادك عنا لا تلومــــينا
ولا يجــا فــيك منا قــول واشــينا
عــدا الشــقــاء على الدنيــا فـغـيّـرها
ولم يـغّـيـر بهــا صـفــو المحبــينا
وخلّف الـروض إلاّ بـانهُ حـطبــاً
وكــان مـخـضـوضـراً يهـفـو رياحـينا

* * *

يا ظبــيــة القــصــر مــا أشــجـاك فــاتنة
تـركـــتـنـا بالـهـــوى نبكى وتبكينا
أحـنـو لمغـنـاك إذ عــــزّ الخـليط بـه
وأجــتنى حــبــه مــهــمــا نأى دينا
لـكنّ لـى ذمــة من بات يـخـــفــرها
ســقــيـتـه قــاسيــا مُـهْــلاً وغـسلينا

* * *

رأيت منّا على البلوى مــــــلائكة
فــمــا يضـــيـرك أن كـنا شـيــاطينا

وقـــد أريناك من وحى النهى عـــجـــبـــا
فـــمـــالنا فى الهـــوى صـــرنا مـــجـــانينا ؟ . .

* * *

لـم نرتـقب فـــرجـــا فى يوم كـــــربتنا
إلا وكــــان لنا ضـــيـــقـــا يواتينا
ولا اســتــغــثنا طبـيـبـا فى مـــواجـــعنا
إلا المنــايا نـرَجّــى أن تــواســــــينا
لـم يخلـق الحـــزن إلا في جـــــوانحنا
ولا المدامع إلا فى مـــــآقـــــينا ! . .

فى قريتى . . .

« زار شاعر البؤس عبد الحميد الديب قريته كمشيش سنة ١٩٤٠ بعد عشرين عاما منذ تركها واستقر بالقاهرة فأوحت إليه الزيارة بهذه الخواطر الحزينة الباكية . . . . » :

تغيّرت يادنيا ،فأين مضى أهلى ؟ . .
وأين ديار لم تذُقْ نُوَب المحْل ؟ . .
وأين جواميس سُمانٌ حلوبةٌ ؟ . .
وأين جِمالٌ لا تُراعُ من الحمل ؟ . .
وأين حماماتٌ هَتفْنَ عشيّةً
تنوح على إلفٍ وتبكى على شمْل ؟ . .

* * *

سريتُ فمضّيت السُّرى فى مسرّة
وبَرّحَ بى شوقٌ إلى رؤية الكُلَ
فلم أرمنهم غير أخت حزينة
براها الضّنى من غمرة البؤس والثُّكْلَ
عميتُ من البلوى فلم أدْرِ ذاهلاً
أخى من ثوى بين المقابر أو نجلى ؟ . .
أقامت بنا الأيام حربا فلم تَدَع

بقــــومى من شـــــيخ يدبٌ ولا طفل

إزاء قــضـــاء الله أصــــبــحت حـــائرا

أقــصـِّـرُ فى مـيــدان عــيــشى أم أُبـلى ؟ . .

وداعاً شبابى ! . . .

وداعـــاً شَـبــابِى فى ربيع شـبــابى
وأهْلا حـسـابى قـبل يوم حـسـابى ! . .
ومـا يبـتـغى من عــاش غـيــر مُـوَّفق
ثلاثين عـــامـــاً فى أسى وعـــذاب
بنىَ فــوق دار الشــمس دَارةَ مــجــده
فـــســاكنه فــيــهـا نَذيرُ خـراب
طلعتُ على الدنيـا فـلا النُّورُ فى الـدجى
ولا الروضــة الـفَــيـحْــاءُ وسط يبــاب
ولَـكـن حظى بـدَّل الـنور ظُـلـمــــــةً
وبـدّل مــا أشــدُو نعــيب غُـراب
ويـؤتُ مـــن الأيــام وهـــى هـــوامــعٌ
بحـظ العطـاشى مـن جـهـــام ســحــاب

* * *

أمــانىّ تغـــريهـــا الخُطوب رأيتُــهـــا
كـــأشْــلاء قَــتْلى فـى رؤوس حِــراب
ولـــو أنَّ وهّـــاب الحـــظــوظ أرادَ لـــى
ســلامـــة إحـــداها لخــفّفَ مــا بى

ولكنَّهـــا مــــاتتْ بليـلة عُـــرســـهـــا
ومن دمــهــا الغـالـى تخِـذْتُ خِـضَـابى ! ..

حرب الأصدقاء ! . . .

(كان الشاعر يضيق أحيانا بدعابات أصدقائه فيثور عليهم ويطلق سلاح شعره عليهم يمزقهم شر ممزق وهذه القصيدة ثورة صاخبة على أصدقائه . . الذين كانوا يتخذون من بلواه فكاهة وسمرا فى مجالسهم وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٠ يتيه بها عليهم بفنه وعبقريته :

عزّتكمُ الدنيا وهُنّا
فرقصتمُ طيرا وغصنا
مُلّكتموها بالغنى
وملكتها شعراً وفنّا
أنتم مشيب فى الصبا
وأنا الشباب كبرت سنّا

* * *

عشرون عاما والزمان
يؤودنى ضنّا وغبنا
وتجدون هناءكم
وأجدد الأحزان حزنا
وأنا لكم فلك النجاة
وكم بكم أغرقت سفنا
يا للغريق إذا استغاث

بقــــــــادر فــى الــيـمّ ضـنــا
لا تمــلــكـون ســــــــوى المـلام
ومـــــــــا ضــلـلـنـا أو أثـمـنْـا

★★★

أبــنــى لـكـــم صـــــــــرح الــوداد
وكــم حـطـمــــــــتمْ منــه ركـنــا
كـم مـن صــــديــق شـــــامـنى
أبـكــى من الـبـلـوى فــــــــغـنىّ
كـم شـــــامـتٍ قــــــد ســـــــرّه
قـلـقـى بعــــيـــشى فــاطمـــأنا
هــى هـدنـةٌ فــى مـــــــــحـنـتـى
إن عُـــدتمُ للـحــــرب عُـــدْنـا ! . . .

القدر المذل . . .

أسْلَمتُ للقدر المذلِّ سلاحي
وجَرتْ علَى مَشيئةُ السَّفّاح
مُستضْعَفٌ يُحْنى علَىَّ كأننَّى
يُتْمٌ يُدلَّلُ فى حُجُور سِماحِ
يامِحْنةً أكَلَ الشَّقاءُ شَبيبتى
فيها ، ومزَّقت الخُطوب جناحى
ولَبِسْتُ بَاليها بعُرسى مكْرهاً
وشربت آسَنَها مُعتَّقَ رَاحِ
فى أُسرة ترجو المعيشة قُنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراحِ
ولها سوى حرب الشعوب حروبُها
والدهر عزلاء بغير سلاح

* * *

جُرحان فى كبدى لفرط صَبابتى
ولِشقْوتى والناس جدّ شحاح

ولو أنهم جَرحَى خُطُوب زمانهم
مَنْ ذَا يقيسُ جراحهم بجراحى ؟ . .
لا تَعتبوا بخلى بدمعى صابراً
فَيضُ الدُّموع بمُقلة التِّمساح
أثبَتُّ فى الأخلاق صدقَ «محمد»
وَجَنيتُ كذب (مُسيلم وسجاح) ! . .

* * *

أشكو إلى الأخلاق غِرّاً والغاً
فى الإفك رَغْمَ هدَاية النُّصاح
كَمْ ذا أقلْتُ عِثَارهُ ورحمته
فارتد يهجو نعمتى ويُلاحى
نَبغَ النُّبوغَ اللّغْو فى تهريجه
ومن الطَّغَام مُهرِّجُ الأفراح
تخذوه تسلية الندىِّ وحسبُه
هُزء الضَّحُوكِ ونكتةُ الفضّاح
منْ معْشرٍ أكلوا « الجراية » قنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراح
ظفروا على الأحداث جُنْد مُوفَّقٍ

للمــال أو خــدمــاً لـدى مـسْــمــاح
إن كــان هذا الفــحش خَــفّــة روحــه
فــمن الحــمــاقــة خــفّــة الأرواح ! . .

* * *

مــا كــان ضَــرّكَ لو رعــيت كــرامــتى . .
ورحـــمْت تبــريحى ، وطُول نُـواحى ؟ . .
وأنـا الـذّى لبس النّجُــومَ قــلائـداً
وزكـــا غُــدُوّى فى العُــلا ورَوَاحى
وطَلعتُ فى مـحْـل الخـلائق واكــفــاً
وَمــحــا ظَلاَم المُـعْـتَـفين صبــاحى
أيُبــاحُ عــرْضى فى ســفــاهك بَيْنَمَــا
عــرْضُ الأذلّ الغــرّ غــيــر مُــبــاح ؟ . .
وأشــدّ مــا ألــقــاهُ يوم رزيئــتى
أنَ أجــعل الـهــجــو الوجــيع ســلاحى
مِـن قَـبْل يوم البــعْـث لُؤْمُكَ باعـثٌ
فى كُلّ يـوم حَــامِل المضَــبــاح

* * *

نَحُن المـلائك والملـوكُ ، وَحــسْــبُنـا

بالشــــعــــر تزكــيـــةٍ ونيْل وشـــاح

يا مِـــحـنَةَ الأدب الـرفـــيـعِ بمعـــشــــر

جـــعلـوا الســـفــاهــة آية الإفـــصــاح

لا يصْــدعُ الـزَّبدُ الجُـــفــاءُ ســـفــينةً

والبـــحــــرُ طوْع رغـــائب الملاَّح ! . . .

بين السكر والصحو . . .

يقولون سكير فهل شربوا كأسى ؟ . .
وهل شربوا البلوى كما شربت نفسى ؟
سمت بى غداة العمر نفس رضية
فأوسعها دهرى من الهم والبؤس
مضى الشعب عنّى غافلا ، فجزيته
على حسّه الغافى بمختبل الحسّ
وإن أضَحِ ألفيت الحياة مجانةً
بها مأتمى الباكى يقوم على عرسى
فسكرىَ صحو فى بلادٍ أرى بها
حياتى لم تنجح على الطهرِ والرّجسِ

* * *

إذا قلت قدّيسٌ ، يقولون سادرٌ
وإن قلت حيٌّ ، يحملونى إلي رمسى
معاذ قصيدى أن أعيش مشرّداً
وأحرم جَنْى الرزق من شرف الغرس
تحدّيتُ أيامى وقومى بوحشتى

وكــم وردوا مــنّــى مـنــاهــل لــلأنــس

لقــد جـهلـوا يومى ، ولن يـكرمـوا غــدى

وياحـــرّ قلبى من شـــقــائىَ فى أمـــسى ! . .

صرخة شاعر . . .

مَـا بـالُهمْ سكتُـوا كـأنْ لم يعـرفـوا . . .
هذا الضـحى والشـمس فَلْيـتـشـوَّفُـوا
ضَنُّـوا علـىَّ بكثْـرهـمِ وبقلّـهـم . .
وسـواى لو طلب المعـونة أسـرفـوا
لا تُبـهِـمُـوا ياجـيـرتى أحكامـكمْ
فى مـحنتى ، فلتـعـدلوا أو تُجْـحـفُـوا
لا تُسـمـعـونى نوْحكُمْ لشـقـاوتى
وتَرنَّـمُـوا بين الحـوادث واعـزفـوا

* * *

مـا بال من عـرفـوا أليم خـصَاصـتى
ورقـيق حـالـى ليس فـيهمْ مُسْـعفٌ ؟ . .
من كـان يقـدر أن يُفَـرِّجَ كـربتى
ويُنيـب مـدمـعـه فظلمٌ منصف
يتـمـتـعـون بمدمـعى وشكايتى
والبـدر سلوى للورى إذ يُخْـسـف
ولـربمـا غـدت المـواجع سـلوةً
للمـتـرفين ومـتـعـة لا توصف

ولقـــــد تَسَّلى العين وهى قـــــريرةٌ

بمن اغـــتـدى فى قـيـد سـجن يـرسف

* * *

أأرى ذئابـاً ؟ . . أم صــــحـــاباً ؟ . . إنـهم

وجـمـيـعـهـمْ في الخطب لـم يتـعطـفـوا

«بارَ الـلواء» جــمـــعت بـعض كـتـــائب

والحــقــد فــيـهـم مـســتـبــدٌّ مُـشْلفُ

وقـــفــوا كــمــا وقف الزمــان بمحنـتى

لدمـى البـري جـمـيـعـهمْ يسـتنزفُ

أأعــيش بينهم شــقــيـاً مــعــدمــاً

وهــمُ غنــىٌّ ناعــمٌ ومـــــــوظّـفُ ؟ . .

من أنا ؟ ! . . .

صحوتُ لم أجد الدنيا فأين غدت ؟ . .
وليس يبدو بها أهل ولا دارُ
الذئب تأكله شاةٌ لجوعتها
والماء ترعاه فى أحطابها النار
وقد غدا المال نهب الباخلين به
والمجد يحضنه فى شأوه العار
فهل تغيرت يادنياى أم عميتْ
عينى فليس بها للخلق إبصار ؟ . .

* * *

مرّ الذى كان حلوا في فمي ودجَتْ
فى الليل والصبح بين الكون أنوار
فلا جمال ولا نور ولا مُتعُ
ولا حياة بها عيش وأعمار
كأننّا فى وعيد الله تغمرنا
حال من الخوف نخشى دونه النار
فما تغيّر شئ فى الوجود عدا
نفس يحطمها بؤس وأكدار ! . .

* * *

الناس في كل يوم بين عيدهمُ
ودمع عيني بيوم العيد مدرار
وكل ذنبي أني كالذي زعموا
ضحية غالها فنٌّ وأشعار ! . .

صبر البائسين . . .

إلى جـِـــوار الـنَّدي لـلبــــائس الحــــافى
ثُمـَــالة الـكأس لـلمـــحـــروم والـعـــافى
قـــالوا الحــفـــاء ، فـــقلنا لا يضـيـــركم
مَــنْ يأمـن الموت جـــوعـــا أنه حـــافـى
الشـعب جـــوعـــان لم يشك الحــفـــا أبدا
ولـمْ يمـدَّ لـكـم رجْـــــلاً لإنْـصــــــاف
فـقــــد يبـيـع الحـذاء الفـخم صـاحـبـه
لـينقـــــذ الـنفس مـن جـــوعٍ وإتـلاف

* * *

وفى البـــلاد عـلى خـطب الطَّوى صُـبـــر
وليس كـــالـصّـبـر فى خطب الـطوى شــافي
ولابسـين علي فــــــقـــــر جُلـودهـم
لا يلبـســـون ســوى مـــا حـيًّـــر الـرَّافى
هذا هـو البـــؤس ، لا حـــاف ومُـنْتـــعلٌ
والجـــرح لكـنه عن طـبٌكـم خـًـــافى ! . . .

* يهاجم مشروع الحفاء فى عهد الملك فاروق .

حنين ...

الـوالـدان هـلـكـت بـعـــــــدهـمـــــــا
مـن لـى عـلـى رد الأسى بـهـــــــمـــــــا
أســـــتـــوحش الـدنـيـــا كـــــراهـيـــة
مــذ ذقـت كـأسـى من فـــراقـــهـمـــا
من مــــوقـظٌ أمى لأ ســــمـــعـهــــا
قـلـبــــاً يذوب لمـوتـهـــــا ألمـا ؟ . .
وأبـثّــهـــا لـهَـــفـى لـرؤيتـــــهـــا
وتحـّـــــرقـى أن أبـلغ الـعـــــــدمـــا
فـــأعـــيـــد أفـــراحـى بحـــضـــرتهـــا
وتـدلّـلى فـى الـبــيـت مــحـــتــرمـــا

* * *

أمّـى . . إذا أصــــــبــــــحـتُ نـافـلـةً
لـم تـلـفـنى إلا فــــتـى عـلـمـــــــا
وإذا لحــــــــــانـى الـنـاس كـلـهـمُ
أضـــفـتْ عـلىّ حـنـانـهــا كـــرمـــا
وإذا افـــتـــقـــرتُ وجـدت رحـــمـــتـهـــا

قـــد أمطرتنى اليـــســـر والنـعـــمـــا
وأبـى ومن يـحـــيـــيـــه لـى لأرى
وجـهـا كنور الشـمس مـبـتـسـمـا ؟ . .
وأرى بـرؤيـة وجـــهـــه لـهـــفـى
وأطـالـع الدنـيــا به قُـــدُمـــا
مـــا شـْـمـــتــه يومـا تجـهّـم لى
مـــهـــمـــا تجلّى الخطب أو عـظمـــا
آه ، وهـل ألـقـــاهمـــا يقظا ؟ . .
أو نائـمـــا ألقـــاهمـــا حـلـمـــا ؟ . .
الـوالـدان هـلـكـت بـعـــــدهـمـــــا
مـن لى عـلـى ردّ الأسـى بـهـــمـــا ؟ . .

أين الدنيا ؟ . . .

صحوت لم أجد الدنيا فأين غَدتْ ؟ . .
هل استحالت إلى حَدْسٍ وأوهام ؟
أم استحالت إلى نوْمانَ عيشته
من فرط أوهامها أضغاث أحلام ؟

* * *

لم ألفِ ،غير شخوصٍ كالدمى وقفوا
حياتهمْ وقف عبّاد لأصنام
وفارغين من الأحلام قد علفوا
بطونهمْ بالمطاهى علف أنعام
قومٌ عراض القفا دان الغنى لهم
وإن أصابوه عن ذلٍ وإرغام
جننت من موكب الأوشابً تحسبهم
مظفريّن مشوْا في خفق أعلام
وهم جبان ومشّاء وداعية
للعيش رجسا غريقا بين آثام
بينا ترى ملأ الأكفاء قد دحروا

والبــؤس يبــعــد من شــهـــر إلى عـــام
كـــأنما الفـــقـــر للأكـــفـــاء توأمـــهم
فـــالبـؤس كـــالشـــعـــر من وحى وإلهـــام

يارب .. أين رزق السماء ؟ . . .

يارحمتا لى فى ليالى الشتاءْ
بين العراء القر فى وحدتى
جوعان لا أحيا بغير الرجاء
فى ملجأ دفءٍ وفى أكلةٍ

* * *

والناس من حولى قيامٌ قعودْ
يجنون ينعا من ثمار الحياه
ولو رأونى أومأوا بالسجودْ
ياذلة الدنيا لهذا الإلهْ

* * *

تزوَرُّ عنى الخرّدُ الغانياتْ
لو جهىَ الحاكى سواد الغرابْ
كأنما شخصى من السيئاتْ
تخشى به الحسناء سوء العذابْ

* * *

يمر عامى فى طِلاب الكفافْ
وفى جديد العيد لبس خَلَقْ

أقـــســـمت أن «الديب» حُلمٌ وطافْ
وأنه بين الورى مـــا خُلق ! . . .

* * *

يارب أين ؟ أين رزق السـمـاءْ؟ . .
وأين أنت ؟ يا إله الجـمـيع ؟ . .
أليس فى إسعاد عيشى رجاء ؟ . .
أليس لى فى عطف ربى شـفـيعْ ؟ . .

* * *

خذنى إذا ما المال أمسى عسيرا
فالموت خير من حياة الفقير
الشاعر الموهوب يحيا فقيرا
وماله فى شعبه من نصير

أجرة السكن ..

(كان شاعر البؤس يقطن بغرفة بحى الحسين وبالرغم من تواضع أجرها إلا أنه كان يعجز عن سداده) .

ثمانون قرشا أهلكتنى ، كأنها
ثمانون ذنباً فى سجلٍّ عذابى
طويتُ لها الدنيا سؤالا وكُدية
فما ظفرتْ نفسى بردّ جواب

* * *

لُعنتْ كراء البيت ، كم ذا أهنتنى
وأذللت كِبْرى بين كل رحاب
لأجلك إما أن أبيع كرامتى
وإما أفدّيها ببيع ثيابى
ففى كل شهر لى عُواءٌ بموقف
يباعد عنى أسرتى وصحابى
وطول ليالى الشهر يهتاج مضجعى
مخافة ربّ البيت يطرق بابى
يطالبنى فى غلظة ، فأُجيبُه

إجـــــابـة مـن يرجـــــو يداً ويـحــــــابـى

ألا سـكـنٌ مِـلـكـى ولـو بـجــــــــــــهـنم

وأُكْـــفَى من الأيـام شـــرَّ حـــســــابـى ! . .

أجرة المنزل بين شاعرين . . .

أرسل الشاعر (عبد الحميد الديب) إلى صديقه الشاعر محمد الأسمر رسولا بخطاب فيه أن مالك البيت الذى يسكنه أوقع الحجز على أثاثه ومع الخطاب الأبيات التالية :

ياصاحبى حجز الغريم ولم أجد
فى الناس من بيع الأثاث مجيرى
وغداً سيفضحنى ويفضح عيشتى
نذل يبيع حشيّتى وحصيرى
والناس قد جمعوا إلينا شامتا
أو باخلاً يسخو بكل مضير
ليروْا مبيتى بالعراء وزوجتى
حيرى لبؤس مصيرها ومصيرى

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر مع رسوله بالأبيات الشعرية التالية :

قد بعثنا إليك شيئا يسيرا
فتقبّله شاكرا أو عذيرا
لو حبانا الزمان أكثر منه
لحبوناك منه شيئا كثيرا
كم بنيت البيوت فانزل بما شئت

وطُفْ بالجـــــمـــــيع دوراً فـــــدورا
كـــيف تـشكـو ياديب مـــارحـت تشكوهُ
وأنـت الذى يـشـــيـــد الـقـــصـــورا
ليت شـــعـــرى مـــتى أقلب عـــينىً
فـــلا أبصـــر الأديب فـــقـــيـــرا
أنـــت " يـــاديـــب " بـــا أديـــب غـــنـــىّ
بالـقـــوافى وإن رهنت الحـــصـــيـــرا

مناجاة حبيب ...

(يناجى الشاعر زوجته " إحسان " وهي مريضة فى صبيحة يوم العيد)

يــا مُـطــلـقــى مــن إســـــــــــارى
يـامـطـفــــئـــا حَــرَّ نــارى
هــزمــت دهــرى بـــشـــــــــارى
وصـــــنـــــت دهــــــرى ودارى
فـــأنــت كـل حــــيـــاتـى
سـلـمـت لـى يـا حـــبـــيـــبى
ســـلـــمـــت مـــن كـــل داء

* * *

فـــــوق الــســـريــر ضـنـاك
يـــاورد أيـــن شــــــــــذاك ؟ . .
يـــابـــدر أيــــن ســــنـــاك ؟ . .
روحـــى وأهـــلـى فـــــــــداك
فـــأنــت كـل حــــيـــاتـى
وأنـت فــــجـــــر هـنـائـى
سـلـمـت لـى يـا حـــبـــيـــبى

سلمت من كل داء

* * *

ما قلت تشكو الضنى
آهٍ ، وقلت أنا
آهٍ لطيب الجنى
آهٍ ، لفيض المنى
فأنت كل حياتى
وأنت فجر هنائى

* * *

ليلٌ كيوم الوعيدْ
طولا وعنه يزيدْ
النوم عنه شريد
والصبح مَيْتٌ شهيد
فأنت كل حياتي
وأنت فجر هنائى

* * *

أضفى عليك الشحوب
لونا كلون الغروب

مـــــــا كـــــــان قـلـبـى يـذوب
فـــــأنت كل حـــــيــــاتى
وأنـت فـــــجـــــــر هـنـائى

* * *

ضــــــــحكت تـدفـع عـنـى
مــــــــا نـال مـنـك ومـنـى
ضـنـاك قــــــــد هـدّ ركـنـى
وكـــيـف يضـــحك حـــزنى ؟ . .
فـــــأنت كل حـــــيــــاتى
وأنـت فـــــجـــــــر هـنـائى

* * *

ذبـلـت مــــــا عــــــدت تقـــــوى
وبـتّ طيــــــفــــــا ونجـــــوى
فـــبــــات جــــســــمىَ شلـوا
وبـتّ لـلـهـم نِـضْــــــــــــوا
فـــــأنت كل حـــــيــــاتى
وأنـت فـــــجـــــــر هـنـائى

* * *

كل الأنام صحا
في مهرجان الضحى
والأنس عني انتحى
والهم بي برّحا
فأنت كل حياتي
وأنت فجر هنائي

***

ترنو للبس الجديد
رنوا يُلين الحديدْ
شفاك يوم سعيد
فأنت للعيد عيد
فأنت كل حياتي
وأنت فجر هنائي
سلمت لي يا حبيبي
سلمت من كل داء

محنة بؤسى !...

أفنى صبوحى فى المنى وغبوقى
انى امرؤ كسدت بقومى سَوقى
زعم العواذل أن سعيى مُخفقٌ
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوأة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى
أقسى علىّ من الخطوب تبرّمٌ
بى من قريب عاطف وصديق
ضاقت وجوه العيش دونى بعدما
هضمت لئام الناس كل حقوقى
وعققت ذلى فاسترابوا بينما
نسبوا إلى لؤم الطباع عقوقى
وإذا انبرى الحنّانُ يكشف كربتى
جرحوه واحتسبوه شرّ شفيق

* * *

يامحنةً أكل الشقاء شبيبتى

فــيــهـــا ، وهجّنت الخطوب عَــريـقي
ولبـــستُ بالـيــهـــا بعُــرْسي مكـرها
وشــــربت آسنَهـــا عـــتـــيقَ رحَـــيق
لو لـم يكن نُبْلُ الحـــيـــاء طبـــيـــعـــتي
أقـــسـمت مـــا عـــرف الشــقــاءُ طريـقي
فــبكـل مــضــمـــار سَــبــقْتُ ، وإنـنى
لأعــيـش عــيـشـة خـــاسـرٍ مــســبــوق
مـــحـنٌ لهـــا عـــزم الجـرئ وصـــبــره
والصـــبــر أجـــمل مـــا يفــرّج ضـيــقي

ورقائى الذبيحة ! . . .

ذبحتك ورقائي وأنت هتوفُ
وعذل الشجىّ المستهان يحيفُ
رأيتك دون العود والماء أطبقتْ
عليك منايا كثرة وحتوفُ
وقد جنّ فقرى والهوى فيك قاتلى
وأشفقت أن تقضى عليك صروف
وفيك لزوجٍ موسرٍ كلُّ متعة
ومازلت بدرا لم ينلهُ خسوفُ

* * *

خلقت لقصرٍ بالثراء مضمّخ
وبيتى قفرٌ ليس فيه رغيف
سأحمله جرحا لبعدك قاتلا
وأنجيك من عطف علىّ يخيف
وأشربها كأس الفدائىّ فى الردى
إذا ما أباها صاحب وأليف

* يناجي زوجته ناعياً لها حظه ، ومشفقاً عليها من بؤسه

فـــقـــالت بـحـــســـبى منك قلبٌ ونـظرةٌ
وأنـك فـــــــيــــــاض الـوداد عـطـوف
ومــــــــالى بـالـزوج الغـنـىّ ومـــــالـه
قـــريـن إذا لجّ الخــــصـــــام شـــريـف
يمـنّ فــــــــــلا يـبـكـى مــن الحبّ ذرةً
ويـدنـو ومـــــــــالى مــن جـنـاه قـطـوف

طل الندى . . .

يا رحيق الورد يا قطر الندى
كم سقى عطفك من قلبي الصدى

* * *

أنت يا قطر الندى درٌّ مذابْ
أنت أحلى من رحيقٍ أورضابْ
ياصفاء الماس يالطفَ الحباب
يا دموع البشر من خود كعاب
يا رحيق الورد ياقطر الندى
كم سقى عطفك من قلبي الصدى

* * *

غنّت الورقاء والشمس نؤومْ
في صباح قد هوت فيه النجوم
فإذا قلبي بحسنائي يهيمْ
بين عطر الورد أو قطر الندى
يا رحيق الورد يا قطر الندى
كم سقى عطفك من قلبي الصدى

* * *

أنت أغريت حبيبى بالبكور

ليحيّيك بأهداب الزهور

ويندّى القلب من شدو الطيور

ويلاقينى على شطّ الغدير

بين عطر الورد أو قطر الندى

* * *

لست بالطارق حانا للصبوحْ

أنا من لقياه نشوان مروحْ

كل خمرى منه ألطاف وروحْ

وانجذابٌ وهيامٌ وطموحْ

وجنون بين ورد وندى

يارحيق الورد ياقطر الندي

كم سقى عطفك من قلبى الصدى

* * *

فتح الأكمام إشراق الحبيب

حسنه يضفى على الوردة طيبْ

ويساقى الغصن أعطاف الندى

يا رحيق الورد يا قطر الندى

كم ســـــقى عطفك من قلبى الصــــدى

* * *

حــــالت الحــرب فــمـــا إن نلتـــقى
غـــيـــر أطيــــافٍ بحلم مــــغلق
هـو فى المغـــرب في عـــيشٍ شـــقى
وأنـا أهـفــــــو لـه فى المشــــــرق
وكــــلاتا ذاكـــر عـــهــــد الندي

* * *

يـالـه عـــهـــــدا عـلى طول الـزمـنْ
قــــد طـويناه كــــأحـــلام الوسـنْ
بـين ليـل ســــرُّنا فـــيـــه كَــمَـنْ
وصـــبـــاحٍ كل مـــا فـــيـــه حسَنْ
رقـت النـســمـــة فـــيـــه والنـدى
يـارحـــــيـــق الـورد يـا قـطـر الـندى
كم ســـــقى عطفك من قلبى الصــــدى

* نظمها الشاعر عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية .

العيد الحزين ...

عــيـــد يُطـالعنى والـعـــيش مـنكـودُ
لأنـت يوم الأسى والحـــزن يـاعـــيـــدُ
يُجـــدِّدُ الـنـاس من لـبس ومن فـــرحٍ
وعـنـدنـا لـلأسى والـهـمِّ تَجـــــديـد
المسلمــون وقــد عـشـنا خـيـــار همـــو
كـــأننّا بينهم فـى عـــيـــدهمْ هـود
لو أنصف الناس مـا ضـحّـوا بشـاتهـمـو
بل كـــان قـــربُانـهُمْ للمُـــغْــتَــفى جُـود

في المستشفى ! . . .

(كسرت ذراع الشاعر في موقف نجدة فطوى أيام العلاج على سرير بمستشفى قصر العيني وكان سريره هو اليتيم أيام زيارة المرضى فأنشأ هذه الأبيات يعتب فيها على زوجته إحسان لأنها لم تزره ولم تواسه في بلواه) . . .

هـل بـالـديار لـهــــــذا الـصبّ مـن بـاكـى
ردى علىّ فــأنـت الصـــوت والحــاكى
لو كـــان في الحب عـــدلٌ مــا شــقـيـت به
فــقــد عــشــقــتك في يمنى وبـلواك
حــتى إذا مــا ســقــانى الحبّ مــحنتــه
حــرمت عــينى من رؤيا مــحــيّــاك
وبتّ فـى القــصــر تـزجى آهتـى مــقــلا
بالـدمع أو مــهــجــا بالصــارخ الشــاكى
ومــات جــارى وجــارى لـم أصخ لهــمــا
فــقــد فــقــدت لسـقــمـى كل إدراك

* * *

كل المكاســير زارتهـم أحــبّــتــهـمْ
ولـم يـزرنـىَ إلا طـيـف نجــــواك
قــد ذقت لذة توحـيـدى فـمــا نفــعتْ

فـاليـوم أسـقـيك عـدلاً كـأس إشـراكى
أرى بهــجـرك جـلاّدى ومـــقـصلتى
مـــتى وأين إذن يـاليل ألـقـــاك ؟ . .
أزيـد لى في الليـــالى ليلة الشـــاكى
جنت حـــيــاتى في وردى وأشـــواكى

* * *

لو وازنت قـسـمـتى فى العـيش مـوهبـتى
لما جـــرى قـــدر فى غـــيــر أفـــلاكى
لكـن مـــا ظنّ عـــدلا كـــان يظـلمنى
ذبحـــا لـروحى وتـنـكيـــلا بادراكى
كم مـشـهـد سـرت فـيـه ملتـقى غـيـر
مـن ظلـم مـــضطـهـــد أو زور أفـــاك

* * *

شـــمـــاتة العـــاذلين الســود تـلفـحنى
فى كـل مـــضطرب للصـــوت والحـــاكى
أصـــبـــحت أنكر حـــتى من رثى وبكى
وكم ذكت حــرقـتى من مـدمـعى البـاكى
فـــمـــادح مـــوهبـــاتى مـهــدر شـرفى
الغـــصن فى راحـــتيـــه نصل سـفّـاك

إذا كـــشـــفتُ نـوايـاه أرى صـــدراً
من عـــاطش لـلأذى فى لؤم ضـــحّـــاك
يقـضّ مـضـجـعـه شـعـــرى ومنزلـتى
فـــلا يـودّ ســـوى بـؤسى وإهـلاكـى

* * *

إحـــســـان لا تفـــرقى مـن مـــحنتى وثـقـى[1]
أنـــى عـلـــى الـــرغـم مـــن بـلـــواى أهـــواك
ولا ترعْـك تجـــاعـــيـــدى فـــإن بـهـــا
سطـور غـــيب أجـــافـــيـــه بـإشـــراكـى

١ - السيدة إحسان أحمد زوجة الشاعر يومذاك .

أنا غريب . . .

كان بعض أصدقاء الشاعر يداعبونه دعابة قاسية ويتخذون من مأساته ملهاة وأداة للفكاهة فكانت هذه الزفرة الحزينة :

تملّـون من وصـلى ويغــضـــبكم صـــدى
فـــواحـــيـــرتى بـين العـــداوة والـود
عـــداوة ذى حـــقـــد وود مـنافـق
أأحـيـا صـريعـا للنفـاق وللـحـقـد ؟ . . .
شـربـت كـلا الكـأسين سـمّـا وعلقـمـا
فـــلا عـــون من إلـف ولا رفق مـن ضـدّ
ويلـهــو بىَ الأقـــران لهـــواً ،كـــأنما
أنا الكـرة الهـوجـاء تخطـفـهـا الأيدى ! . .

ثورة بائس ! . . .

(رفض أحد رؤساء الوزارات عام ١٩٣٩ أن يقلد شاعر البؤس عملا بحجة أنه ماجن عربيد فكتب الشاعر هذه القصيدة التى تنضح ألما وتفيض ثورة ومرارة ..)

أيعــــفــيك من دمـــعى نفـــورك من ذنبى ؟
دع الذنب يحـــصـــيـــه ويـغـــفـــره ربى
شــــربت بكـأس أنت منشئ كـــرمـــهــــا
كـــلانا بهــــا طَبٌّ على السلم والحـــرب
تلوم لتــــقــــصى الخــيـــر عنّى ، وتـرتدى
غــــلالة ذى نسك تـعـــبّـــد فى خطبى
أتصـــبح قـــدّيســـاً لتـــفــــسق بالـندى
وتهـــبط بالأخــلاق عن شــرف القلب ؟ . .
إذا كـــــان قطع الـعــــيش عـنّى هدايـةً
ضــــمــــنا إلى الأخـــلاق مكـرمــة الـكذب
أيـخــــذلنى من لو يشـــاء أغــــاثنى
ويُبْــــــدلنى أمناً مـن الخـــوف والرّعـب
وفكّ إســـارى حِـــسْــبـــةً لقـــصــائدى
وإطلاق ورقـــائي من المحل والجـــدْب

* * *

أقلْنىَ من حبسى على الدمع والأسى
وخذنى مدى عمرى حبيسا على الكتب

* * *

طعْنتَ سلوكى طعنة لو ببعضها
أُصيبت سماء الله قُدَّتْ من الشهب

* * *

دعونى وخمرى إن كأسى قيامة
من الموت فى بأساء عيشى أو كربى

* * *

تحيرت فى مصر فمرجع خيرها
إلي ثعلب يعدو على الناس أو ذئب
إذا ما كشفنا كنزها آض تبره
لمن لم يكنِ منه علىّ مركب صعب
لكلّ خمول أو جهول ، وتنتهى
إلى يدنا منه الفجائع بالنَّدبْ
أعوذ بآلاء الكنانة إنها
غدت هَمَلاً كالعيس تعطو إلى شرْب

* * *

أيُجمع قومي أن شعري ملهمٌ
وأغدو عيالاً في طعامي أو شُربي
فيا ذلّها تلك المواهب إنها
أضاعت إبائي بين أهليَ أو صحبي
أتغفل تقديري لشعري وتنبري
لتصديق واشٍ جاء يأفك بالذنب
إذا قلت مظلوم تقولون ظالمٌ
ويصبح مُراً في مذاقكمُ عذبي
فإنيَ كالحسناء في بكر حسنها
تُعاف فلا ترجى بعرسٍ ولا حبّ
وكالكنز مرصوداً فليس بنائل
به كاشفٌ يوما سوى صرخة الرعب
أقلني من ذا اللوم حتى تقيلني
من البؤس واتركني لما شاءَ لي ربي !

نشيد الأمل ! . . .

أَعُودُ إلى الصِّبّا بعد اكْتهالى
فقد أوْفَى على الدنيا نوالى
تفيض لىَ الصخور أسىً وعطفاً
ويُغْفلُ محنتى قومى وآلى
فليت رجال أوطانى صخورٌ
وليت الصخر قُدَّ من الرجال

* * *

أطعتك "مصطفى" فكتمتُ سهمى
فما أشكو منِ المحن الثِّقال
رحمت خصاصتى وعرفتَ قدرى
وأقصيت الحوادث عن مجالى
فلم أيأسْ وقد أذكيتَ جَمْرى
بآمال أشمّ من الجبال
وأقْتل للحجا والشعر شكوى
يبينُ خلالها ذُلّ السؤال

* * *

* يقصد الشاعر مصطفى كامل الشناوى الذى ألحقه بالتصحيح بإحدى الصحف .

أنا أغنى امرئٍ بدمى وعرضى
وإن جُرِّدت من جاه ومال
إذا أنا لم أنل بالعلم حظى
سأصدر عنه بالسُّمْر العوالى
فإن مدّت يد لأذاى يوما
سأقطعها جريئاً لا أبُالى

قربان البؤس ! . . .

مــرُّوا على الدار يوم العــيــد ضـيــفَــانا
يرجـــون منهـــا نـداها كـــالـذى كـــانا
والـدار حين رأتـهم مُـــقْـــبلين لـهـــا
تـعـــاوَرتْ فى الـبكـا أهلاً وبُـنْـيـــانا

* * *

يا مــعـشـــر الديب وَافَى كـلُّ مـغُـــترب
إلا غـــريبكم فـى مـــصـــر مـــابانـاً
ذبحــتـم الشـــاة قُـــربانا لـعــيـــدكم
والـدهر قـــدمنى للبـــؤس قُـــربانـا

* * *

ليـت العـــبـــاد كـــلابٌ . . . إن كلـبـــتـنا
لمـاّ تـزل لحــــــفـــــاظ الـودّ عـنُـوانـا
تحّــملت قـــسْطـهـــا فى البـــؤس صـــابرة
لم تشـكُ جَـوعـــا ولم تَـســتَـجـد إنســانا
لم يـتـــرك الدهرُ إلا شِـــيـــخــةً عَكـفُـــوا

زار الشاعر أهله فى قريته كمشيش فى عيد الأضحى فلوحت له بهذه القصيدة

من فــاجــعــات الرَّدى صُــمّــاً وعــمــيــانا

من كـــان يحـــســـدنى فليـــرتقب ســـحـــرا

أنِّى عـلى الجـــوع أطوى الأرض حـــيـــرانا

ليـلتـــمـــسنى لدى الخـــمَّـــار يحـــبـــسنى

فى «الـقـــــسم» آنـا وفى حــــانـوته آنـا ! . .

شبابى البائس ! . . .

ضـــاقت به الـدنيـــا فكـن رحـــبـــاً به
قـــد ذلّ مـن غـــدر الزمـــان وريـبـــه
لا تـنكـروا الشـكوى عـلى مـــتـــبـــرّم
قلـق الحـــيـــاة ، كـــمن يـشـــاك بـثـــوبه

* * *

أنـا لا أرى لـى فـى شـــبـــــابى لـذة
لهـــفى على مـــرح الشـبـــاب وعــجـــبـــه
من كـــان تـوأمـــه الـشـــقـــاء وصـنوه
فــشـبـــابه حـــرب ،عليــه كــشـيـبــه ! . . .

* * *

لماذا أعيش ؟ . . .

طلع الصباح على مجالى فضّة
ومطارف من عسجد تتألقُ
واستأنف الناس الحياة ، فَعاملٌ
جمٌّ النشاط ، وعاطلٌ يتحرقُ
وأنا أمام الله يوم وعيده
وحدى ، فجسمى بالجحيم يمزّق
ونسخت إبليس اللعين بمحنتى
فبكل آونة هلاكٌ محدق
أخلقتنى يارب أم أنا واهمٌ ؟ . .
أنا ما خلقت لأننى لا أرزق ! . .

فى عالم الجنون ...

رعاك الله « مارستان » مصر
فإنكَ دَارُ عقل لا جنون
حَويْتَ الصابرين على البلايا
ومن نزَلُوا على حكم السنين
ومن هبطوا بهم من صَرْحِ عزٍّ
إلى أغلال إذلال وهُون
تراهم خائفين فإن أُثيّرُوا
بَمهْزلة فآساد العَرين
وإن سئلوا عَن الأسرار كانوا
كمن أخذوا عن الروح الأمين
وربّ مهرّج منهمْ بقول
يُريكَ الجد فى ثوب المجونَ
فإن يغضب بقَارصة تباكى
فأبكى العين بالدمع الهتُون
يعذبه عبادك كل يوم
ويَصْلَى الضَّيم حيناً بعد حين

وكم فـي مــــصـــــر من غِـــــرٍّ . . غـــــبيّ
تمـتـع بالجــــــمـــــــيـل وبـالـثــــــمـين
ولو عـــــدلوا لأمــــــسى « خـــــانكـيـــــاً »
يعـــــذب بالـشــــمـــــال وبـاليـــــمين ! . .[1]

خانكيا : نسبة إلي مستشفى الأمراض العقلية التى يطلق عليها العامة « الخانكة » وهو النطق للكلمة التركية القديمة « خانقاه » .

من الماضى القريب . . .

تجـــافـت بـه الدنـيـــا فـــعـــاش ذلـيـــلا
ولـم يـغـنـه فـــرط الـذكـــاء فـــتـــيـــلا
ســـــلام عـلـى حـظّ وقـــفـت بـقـــبـــره
أنــوح عـلـيـــه بـكـرةً . . وأصـــيـــلا
رجـــوت الحـيــا سـقـيــاً لـربـعـى فـعـقّـنـى
وعـــدت وربـعـى لا يـزال مـــحـــيـــلا
ومـن شـــقـــوتـى فـي مـــحـنـة الـعـــيـش أنـنـى
فـقـدت نـصـيـرى صـحـبـة وقـبـيـلا
ونـازلـت أجـنـاد الحـــوادث مـــفـــرداً
فـــأفـنـيـت عـــزمـى وارتـددت قـتـيـلا
ولا عـــجـبٌ فـــالـدهـر أظـلـم حـــاكـم
يـعـــزّ هـجـــيـنـا إذ يـذلّ أصـــيـــلاً
ولـو لـم أعـش فـى جـنّـة الـصـــبـــر راضـيـــاً
لـقـــضّـــيـت أيـامـى أسـىً وعـــويـلا

* * *

* رفع الشاعر هذه القصيدة إلي الملك فؤاد الأول يشكو فيها مأساة حياته عام ١٩٣٤ .

على أنني أرجـو لتـفـريج محنتي
مليكاً بنصر المستجير كفيلا
له غير عرش الملك عرش قلوبنا
فما نبتغي منه الحياة بديلا
خلال ملوك في ملاك طاهر
وفرع سماك بذ فنيه أصيلا
إليك « أبا الفاروق » أرفع قصتي
أحر ظلامات وأصدق قيلا
رواية مظلوم تمثل عمره
على أنها لما تتم فصولا

* * *

فقدت الصبا يارحمتاه على الصبا
وأصبح طرفي عن مناي كليلا
ومات أبي أعشى وأمي سقيمة
لحزنهما ممّا لقيت طويلا! ...

* * *

أهون أبا الفاروق والعلم غربتي
وأسقط إذ ألفي بمصر جليلا

أمــــولاى إن الـغـــــرب عـــــز جنابه

بتكريم « روســـو » تـارة و « إمـــيـــلا »

فــهــــلا أرى من جــانب العـــرش نـظرة

تخـــفف عـــبـئـــا قـــد حـــملـت ثقـــيـــلا

فـــإن الـصـــدا يـؤذى الحـــســـام ولاغـــدا

حـــســـام الزبيــدى صـــارمـــا وصـــقـــيـــلا

ولو حـــــرم الدهر الـنضـــيـــر من الـندى

لبـــات هـشـــيـــمـــــا إذ يموت ذبـولا

حسيب وحسيب

بريءٌ وعــــيــــشى فى الحــيـــــاة مـــريب
لقـــــد صـــــدَّ عنى عـــــازل وحــــبـــيب
يقـــولـون تب عن فـعلة مــــا اقـتــرفـتــهـــا
فــــــيــــــارب عن أى الـذنـوب أتـوب
لقـــــد قـــتـل الأكـــــفـــــاء أيام بـؤســـــهم
فــــمنهم بهــــا كل الأنـام غـــضــــوب
وللـشــــاعـــر الموهوب كــــبـــر يحـــده
عليــــه غـــريب حــــاقـــــد وقـــــريب
صـــــراحــــتـــــه إثم . . وإبـهـــامـــه أسى
فكـل نواحـى حــــالـتــــيــــه عـــيــــوب

* * *

أليـس بدنيـــانا حـــســــاب يخـــيـــفـهـــا
أليـس لأفـــعـــال العـــبـــاد حـــســـيب ؟
لقــــد صـــــار خلق الـلـه لحـــمــــا وأعظمـــا
فـليس لهـــــاتيك الجــــســــــوم قلـوب

جنـنت . . وهل غـــيــر الجنون يـعـــيــبنى

من الـشـــعب لـم يحـــسب عليـــه أديب

من الـبـؤس لـلعـــقل الكـبـيـــر ضـــريـــة

علـيــه يقـاضـيــهـا بمـصر حـــســيب

فـــمن قـــبـل الديان لـلمـــرء واحـــد

ومن مـــصـــر ألف . . إن ذاك عـــجـــيب !

والناس فى مصر ! . . .

يـا من لجـــرح بـهـــذا الـقـلـب يـأســــوه
جـــرح الـيــتـــيـم المعنـيّ مـــات أهـلوه
تـزاور الناس يوم الـعـــيـــــد ليس بهـم
أخٌ عـلى الـدهـر يـدعــــونـى وأدعــــوه
أنا الـغـــريـب على الـدنيـــا فـــعـــالمهـــا
أعـــدى عـــدوّى يهـــجـونى وأهـجــوه
فـــمـــا ســمــعت على الأعـــيـــاد تهنئـــةً
إلا مـــــداهـنـةٌ يـلـقـى بـهـــــا فــــوه

* * *

يـا قـــــومُ مـــــالىَ مـن ذنـب أدان بـه
مـــا بـال نورىَ إن أظـهــرتُ تخـفـــوه
لـكنهـــا مـــحـنـة أنتم طواعـــيـــة
فـــيـهـــا لدهرى مـــا يأمـــر تجـيـبـوه
والنـاس في مـــصـــر أعـــوان الظلوم بـهـــا
لـو قـــال كـــونوا تـرابـا لـى لكـانـوه
مـــا العـــيـــد إلا بنيلى بـعض أمنيـــتى
فى المجـد إنـىَ دون المجـد مـعـتـوه ! . . . .

مداعبة ...

(يداعب الشاعر فى هذه القصيدة صديقين كانت له معهما مواقف وطرائف ونوادر .
أحيانا يشفقان عليه وأحيانا يسخران منه .
هما الشاعر الفنان مصطفى كامل الشناوى الذى كان يتسم بجسمه الضخم والآخر الصحفى الكبير مصطفى أمين والذي كان يتميز بجسم فارع الطول فكانت هذه القصيدة الطريفة فى مداعبة هذين الصديقين لشاعر البؤس ! . . .)

نسيت اسمي وحظي والليالي
وعشت على التوهّم والخيال
كأنّي "كامل" في موقفيه
لدى القصف أو حوض المعالي
يصول على دجاج عبقري
يكاد ببطنه الكبرى يلالي
وبين يديه واحدة العذارى
شرى يدها بكأس أو بمال
تغمغم إذ يُقبلها استياءً
لأنّ الفيل يعبث بالغزال ! ...

* * *

ويجتمع البدين إلى طويل

غـنـيٌّ عـن أسـى الأيـام خـال
كـلا الصدرين للدنيا حـبـيب
وفـارس حلبة بين النضال
ومصطفيان فى عليا يراع
يصيد بسحره البيض العوالى
فـقلت لقسمتى من لى بيوم
كيومهما ولو فوق احتمالى ؟ . .
أذوق به الحياة وأجتليها
وفيها أتقى وقع النصال
ولن أنساهما خلقا ونبلا
فكم عطفا وكم رثيا لحالى ! . . .

أنا وقومي ! . . .

لامـــوا سكوتي عن بأســـائهم وأنـا
مـــا شِـــمْت منهم يداً في يوم بأســـائي
في الحـرب والسلم جافوني وقد ظلمـوا
حـــتي ثبـــاتي في خطبي وبلوائي
أحـبّـتي في مـآسـيـهمْ ومـحنتـهمْ
وفي مـــآسيٍّ عـــذّالي وأعـــدائي
مـــاذا أغنيّـــه أو أرثي لمجـــتـــمعٍ
مـوتـاه أسْـعِـدْ بهم من كل أحـيـاء ! ....

إنما الناس عبيد ! ..

مـــــــا لـدى المحــنـة بـدٌ مـن أسـى
يبــعـث الموتـى ليـــرثـوا للـحــــزينْ
كـلّمــــا هـلـهل دمـــعـــــا أورقتْ
دوحــــــــةٌ تـذكـى إلـى المـوت الحـنـين
ذبـل الـورد جــــمـــــالا وشــــذى
حـــــرقــــة تروى قـلوب الـصـــابريـن
أيـهـــــا المحــــــروم كـم هـد الـدجى
مـنـك قـلبـــــــا لـلـرزايا لا يـلـين
وحــــــشــــةٌ فـى منتـــدى أو سكـن
وشـــعــــورٌ منك بالـعــــيش مــــهـين
كـلّ يـوم فـــــريسةٌ مـن مـــــــلأ
إن فــى بـــرديـك إبــلـيــس الــلـعـين
والـذى أجــــــــرى عـلــى المحـل الـندى
ضـن أن يسـقـــيك مـن كــــدْرٍ وطـين
وإذا قـلت ارحـــمــــونـى مـــثّـلـوا
واســـــتـــــرابـوا بك حـــتـى بالأنـين

لا تقل آه ولا تشك فما

تعرف الدنيا سوى الحول المتين

* * *

إنما الناس عبيد فإذا

قلت ياسادة ظلّوا صاغرين

كم فزعنا لنرى أو نرتجي

أيّ وجه من وجوه العالمين

فأرانا الصل فى ألفاظه

لدغات مرسلات للمنون

ولمسنا فيه ناباً قاتلاً

تحته نزت أفاويق السنين

هات منها من ترجّى عونه

لن ترى فيه غدا أى معين

فهو كالزيف خساراً وإذا

ما اختبرت الزيف يهديك الرنين ! . . .

دع الشكوى ! . . .

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكّرْ
وهام بيَ الأسى والبؤس حتى
كأنى عبلة . . والبؤس عنتر . .
كأنى حائط كتبوا عليه
هنا يا أيها " المزنوق " . . . " طرطر" ! . .

أين ليالينا ؟ . . .

كلما أقبل ليل أو نهارْ
شاقني العهد وشاقتني الديارْ
وشجاني سحره هذا المزار
والليالي الخرد الغيد النّضار

* * *

بعد طول البَيْن هل يجمع شملُ ؟ . .
هو نار ، هو وجد ، هو قتلُ
يا حبيبي كيف أنجو ؟ . . كيف أسلو ؟ . .

خطبى

أبلغ بخطبى ذا سمع وناظرة
فقد تصامم عنى كل مخلوق
من نفخة الصور آهاتى وقد فزعت
لها القبور ولم يفرج بها ضيقى
كأن دين بنى مصر يحثهم
أنى أظل حياتى غير مرزوق
وللغوانى اضطراب كلما نظرت
عيونهن إلى عينى وتحديق
عطشان للحسن طول الدهر ماارويت
يوما به النفس إلا فيض تشويق
قد أبعد البؤس عنى كل غانية
كما يصد الهدى عن كل زنديق
يروج حول سلوكى كل مختلق
كما يروج افتياتا بائر السوق

سهد الطوى

هــل فــى رحـــــابك يـاديـار أُضــــــامُ
لا أنــت راحـــــــمــــــــة ولا الأيـام
عـــشــرون عـــامـــا يـسـتـبـد بعــيــشــتى
حـظ إذا صـــــــحــت الحظـوظ يــنـام
لـيل كــــأيام الـوعــــــيــــــد وهولـه
قـــد مـــات عنه الـصــبح وهـو غـــلام
ســــهـــدى به من فـــرط حـــزنى والـطوى
والســـــهـــد من غـــيــرى هوى وغـــرام

* * *

أيضـــيق بى الوادى كــســفـــافـــاً بـيـنـمـــا
يجـنى الثـــمـــار بشـــاطئـــيـــه طـغـــام
لا يـنتـــــهـى حـــــربى لدهـرى أو أرى
يـومــــا أنـا فى بُـكْـرتـيـــــه إمـــــام
والنـاس إمـــا والغـــون بســــيــــرتى
أو مـنصـــــفـــون ومــــالـهـم إقــــدام
مـــازلـت أطمع أن أفـــوز بقــــســمــــتى

مــــــادام يملأ قـلـبـى الإســـــلام

إن كـنـت مـظـلومـــا فـلـى مـن عــدلـه

سـنـد ولـى من شــــرعــــه أحـكـام

لن أغــمــد السـيـف الـذى أنا شــارع

فــأعــز قــاضٍ فـى الحـيــاة حـســام

أنا وحرماني

- مـــر الخليط فـــلا حـــيـــوا ولا زاروا
كـــأنني منهم اللـعـنات والعـــار
أصـبـحت في مـصـر خـصم الناس كـلهم
كـــأن كل امـــرئ عـندي لـه ثـار
ســدوا منافـــذ آمـــالي وقـــد قـــدروا
رزقي ، فـعـيـشي طوال الـدهر إعـصـــار
فـي كـل ركـب أنـا المـنبـتُ بـيـنـهـم
حـــتى إذا خلـفـــوني عـــاجـــزاً ســاروا
كم قــافـلات مــضت والدهر يقـعـد بي
ودون طـيـــبي لـه بيـــد وأقـطار
وعــــاش في النجـم من دوني وخـلفني
ومـنزلي مـــالـه في الأرض أشـــبـــار
إن قلـت آه أجـــابتني جـــهـــالتـــهم
الـرزق بين الـورى غــيـب وأســتــار
سل الـذي خلق الـنعـمى وقـســمـهـا
أليس لي قـســمـة فـيـهـا ومـقـدار

* * *

يا مـــــصـــر بين يديـك الآن ملـحـــمـــة
أنت الـشـــهـــيـــد بهـــا والـبـــؤس بتـــار

الباب الموصد

قصدت إلى بابك الموصد
فطُوردتُ بالخادم الأسودِ
غلامٌ بمثل حظّى لديك
وقلبك فى العطف والمعبد
كأنى حين طلبت النَّدى
إليك طلبتُ يد المعْتدى
عطفت علىّ برىّ الكلام
وأُكرمت منك برد صدى

* * *

لقد عشتُ يارب حتى رأيت
من الناس أقسى من الجلمد
فخذنى إليك فأنت الكريم
وقد ضقت بالزمن الأنكد

* * *

أتذكر أيام كنتَ الغنى
وقد جئتنى بائسا تجتدى

أمــــا قلـت لى حــين فـــــاض الســـــخـــــاء

وضــــــاعف مــــــارمـــــــتـــــــه مــــوردى

مـــــــــــددت إلــيـك يدى بــالـســــــــــــلام

أرانــى فـــــــــــداء لـتـلـك الـيـــــــــــد

فــــــــــــــــــــــرد إلــــىّ أقــل الــديــون

عــلــيـك وحـــــــــاذر خـطـوب الـغـــــــــد

فـلـسـتُ أرى الـبــــــــؤس عــــــــارا إذا

رأيــت إبائـى مــن مُــــــســــــعــــــدى

شكوى الزمان

أو تقسطون وأنتم الأكفاء
لا أنتم موتى ولا الأحياء
تعس البشير بكم ، فإن بحكمكم
أن يسعد الأوشاب والدهماء
أو ما رأيت « العسكرى وقد سما
شأواً تزاحم عنده النعماء
يزهى « بحفنى » فى الندىّ كما زها
بالمالكين أعابد وإماء
واليوم ينكرنى ويزعم أنه
فى عينه تتشابه الأسماء
ويظننى آل (...) وهو جريمة *
نتنت بفيحة ريحها الأرجاء
هل لابن محمود وصالح حكمة
عدل تميز بينه الأشياء !
أيعيش موفور الغباوة مسعدا !
ونعيش يفدحنا أسى وشقاء ؟!

---

* الكلمة المحذوفة اسم الأسرة .

أنشودة الظافر!

خليلى لم أظلم وإن بت ظافرا
وقد تضعف الأضغان من كان قادرا
ألم تريا ذا الشيخ فى طول نخلة
عريض القفا فينان كالفرع ناضرا
ألا لا تلومانى على صفع وجهه
فذلك وجه يقبل الصفع صاغرا
فقدماً رأيناه وللعين أختها
فأمسى مكان العين بالضرب شاغرا
ولو لم يكن "عيش وملح" وصحبة
لكنت لهذا الفحل بالذبح جازرا
هبانى لم أغلبه والحظ خاننى
وعدت من الميدان حيران خاسرا

---

* حدثت معركة بالأيدى بين عبد الحميد الديب والشيخ أحمد العسكرى فى بار اللواء ، وبالرغم من أن الديب أشتهر بأنه جبان فروقة ، إلا أن الحظ وحده جعله بطلا يصرع الشيخ أحمد العسكرى ، واشترك الشاعران الكبيران على محمود طه وكامل الشناوى فى تأليف قصيدة أنشداها فى حادث « الخناقة » المشهور وقد رد عليهما الديب الشاعر المصارع الصنديد بهذه القصيدة ونشرتها صحيفة « فتى النيل » يوليو ١٩٣٩

أمــا كنتــمــا تســتــوكــفــان مــدامــعــا

لمحنــة عـــيـــشــى أو أمـــوت مـــغـــامـــرا

لـقــــــد قلتـــــمــــــا هــذا هــزبر وإنــه

من الــشـــاء والمـعـــزى أرى الشـــيـخ ظـاهرا

« على الـلـه » عــاش الــشــيخ طـول حــيـــاته

فـــلا ولدت أم ســـــواه عـــســـاكـــــرا

فـــجـــعـنا به حـــرا وعـــبـــدا مـــوســـرا

فـــإن قـلـيــــلا أن يرى الشـــيـخ شـــاكـــرا

وبعـض العــــبـــيــــد المتـــرفين تبـــتـكوا

فـلم نـرمـنهـم فـى الملـمــــات ناصـــــرا

يطـول علـى مـــولاه عـــــبـــد تـركـــزت

بـه لعـنـة الأخـــــلاق لـم يرع خــــــاطـرا

أيقبض هـذا الشـيخ عشرين « أهيفـا » (١) ومثلى

يـــطـــوى الـــدهـــر عـــطـــلان بـــائـــرا

ســـلام عـلى الدنيـــا إذا بات مـــســـعـــدا

بهـــا "عـــسكرى" رام بـالضـــرب شـــاعـــرا

(١) عشرين أهيفا : أى عشرين جنيها

إلى آكلى الذهب

ذوقـــوا عـــذاب الطوى يا آكـلى الـذهب
لا تتــركــوا الـناس نهب الجــوع والـوصب
أحــيــاء بالـدورمــوتى لست تـعــرفــهم
مــاتـوا من العـــز أم مــاتـوا من الســغب
وصــابريـن يكـاد الجــوع يطـعـــمــهم
مــثل البــهـــائم ســوق التبن والحـطب
يطـوون ليلـهم ســهــدا ومـســغــبــة
وليـلكـم ينـقــضى فى الـلهـــو والـطرب
شــبــعـــتم من أفـــاويق الـغنى فــدعــوا
للـجــائعين فــتـــات الـغنم والسـلب
لقــد جــبنتم عـن الهــيــجــاء مـعــذرة
فــخلـتم الموت بعـض النصـــر والغـلب
لـســتم مـن الشـــعــب فى ديـن ولا خلـق
ولـيس مـنكم عـلى جـــاه ولا نــسـب
ومــالكم فى ســبــيـل المجـد مــفــخــرة
غـــيــر التــبــجح بالألـقــاب والـرتب

شر المهالك

تراكمت الديون على الديب عند المالكى بائع الألبان ، فرفض أن يستمر فى إعطائه الألبان بالأجل ، فكتب الديب يهجوه :

برئ منك مولانا ابن مالك
رماك الله فى شر المهالك
لبانك كلها سم زعاف
ومن غش البرية رأس مالك
فويلك من رجال الحى طراً
ونسوته إذا علموا بذلك !

فى حانة « كركور »

وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها
لنظفر من أثمانها بكئوس
فيوماً شربناها بعَيْن وفضَّة
ويوماً شربناها ببيع نفوس
وشمْنا من « العقاد » أندل باخلٍ
يضنُّ لدى البلوى بنقْلِ فُلُوس
جزى الله « كركوراً » مُعينا ، فإنه
أضاء ببشر الخَمْر لَيلْ عبُوسى
وبدَّل ماءُ الخُلْد حُزنى بشاشةً
ففارقنى كربى وشدَّةُ بؤسى

* عبث سيد محمد العقاد بالديب حين وعده بسهرة ممتعة ، ستنسيه حرمانه ، ثم أخلف ، فاتجه الديب إلى حانة « كركور » الأرمنى فمنحه زجاجة أنسته حرمانه وغضبه وردت ابتسامته إلى ثغره .

بين الهجاء والشكوى والفخر
مختارات مأثورة للديب

ويارب مـــــا يومى وأين منيـــــتى
أمـــالى حـــتى فى المنيـــة مـــوعـــد ؟ . . .

* * *

بـالأمس كـنـت مـــشـــردا أهـلـيـــاً
واليــوم صــرت مـــشــرداً رســمــيــاً ! . .

* * *

وفى مـكـنـتـى أن أزحـم الـنـجـم مـنـزلا
أقـــابـلـه فى برجـــه وأســـايـره
وفـــوق احـــتـــمـــال قـــد أجـــاهد ظافـــرا
فـــتـظهـــر لى من كـل أمـــر ســـرائره
ولـكـنـنى فى شـــرعـــتى لـكرامـــتى
يـقـــدر لى فى كل خـطـو عـــواثره

* * *

كـن دائـمـــــــا ذئـب الـفـــــــلا
إن أصــــبــــحت دنيـــاك شـــاة

فالدهر أكثر أهله
من أدعياء لا دعاة

* * *

بيني وبين الغني خصام
وفرقة ما لها التئام
فلو تداني إليّ يوما
لرده عنيَ الحمام ! . .

* * *

أعود اليوم للربع المحيل
ولؤم الناس من قال وقيل
بقهوة عسكر ينبوع بؤسي
فيا لله من بؤس طويل

* * *

أنا في الليل على سهدي شريد
والأسى يعرف من عبد الحميد
غير أني في يد الجلّى جليدْ
لستُ أنسى همتي مادمتُ حيًّا

* * *

لو ذاق هـذا الورى مـــعـــشـــار مـــحنتنا
مــا قـــاربوا عـــيـــشـــهم دنيـــا ولا دينا
لـم نرتـقب فـــرجـــا فى يوم كـــربتنا
إلا وكـــان لنا ضـــيـــفـــاً يـوافـــينا

* * *

فنظمتُ قلبى والوفـــاء قـــصـــيـــدة
تروى عـلى الأحـــقـــاب والأجـــيـــال

* * *

كـلٌّ يغّـنى عـلى لـيـــلاه مـــتّـــخـــذا
لـيـلـى من الـقش أو لـيـلى مـن الحـطـب

* * *

تـفـــيّـــأت الـدنيـــا مـــديد ظـلال
ومـــدَّ عـلى قـــومى رواق جـــلالى
وطـــال حـنـيـنى لـلـغـنـى ، ولـو اننـى
حـنـنت إلـى وجـــه الإله بـدا لـى ! . . .

* * *

ثيـــابى كـــمـــصـطاف الـغنى نـوافـــذا
ومـــشتى الـفـقـير ابن الـسـبـيل هشـيـمـا

ولى غرفة كالقبر لم تحو أرضها
سواى أثاثاً كالهباء قديما . .

* * *

طلعت مع الشمس من مشرق
وعشت الزعيم فلم أسبق
أنا ملك عبقرى الجلال
وأن صدف التاج عن مفرقى
فمالى تجافت بحظى السماء
كأنى يارب لم أخلق

* * *

أولست تدرى أن دونك أمة
تهوى الرفات وتعشق الأحجارا
يحيا الأديب بها طعين سنانها
ولكم يعانى ذلة وصغارا
وإذا قضى قامت على تمثاله
تذرى الدموع وتنثر الأزهارا

* * *

أنا ، أو إبليس للدنيا عَمِىً

هو خـــــاف ، وأنـا أبدو جلـيـــــا

* * *

قــــالـوا « كــــريم » قـلت : مــــا بـرهانـكم
الـكف مــــعطيــــة هي الـبــــرهـان
فــــالـلـه لـو لـم يحـــــبنا بعطـائـه
مــــــا كــــــان إيمــان ولا أديـان
قـل للـذى أطـريتـــــه فـــــأدنتـــــه
مـنى الجـــــمـــــيل ومنكم الـشكـران

* * *

ضـلت الأقـــدار تـقـــســــيم الـنعـم
قـــســمــة ضـــيـزى ، وأخـرى عـن كـــرم
كـــيـف يعـطى الـراحـــة الكبـــرى صـنم
ويـذوق البـــؤس حُـــر عـــــالـم !

* * *

هجـتـهـا شـوقـا ، فـقــالت « هـيت لك »
والهــــوى يغــــرى على الفــــسق الملك
ارحم المســــفـــوك والعـن من ســفـك
« لـست مـظلـومـــــا ، فــــإنى ظالـم » !

* * *

بُليت آخر عُمرى بالمرائينا

الواقفين على باب الثريّنا

من كل شيخ قد التفت عمامته

على المذلّة يطوى عمره هونا

غنيٍّهم باع من غلات بلدته

خبشا ، وطالعنا نذلا يباهينا

* * *

بار اللواء جمعت بعض كتائبٍ

والحقد فيهم مستبدُ متلفٍ

وقفوا كما وقف الزمان بمحنتى

لدمى البرىء جميعهمُ يستنزفُ

أأعيش بينهم شقيّا معدما

وهم غنى ناعم وموظّفُ .

* * *

إيه ياعبد الخنا ما أنذلك

عُدْ إلى النخّاس تعرف منزلكْ

تشتم الدّيب وكمْ من محنةٍ

يشتم القدّيسُ فيها والمَلَك

* * *

عمة تحتها ضلال ولؤم
وهي عش الخناويت الداء
نسجت من سفاهة وفسوق
وعلى الخسّة انطوت والرياء
أطعمت ربّها دجاجاً حنيذاً
وسقته « الكونياك » بعد الماء ! . .

* * *

((بد ..)) لم أنس ولم تنسني
فكيف يا ابن الأمس أنكرتني ؟
ان كنت ذقت اليوم طعم الغنى
فليس هذا الخُلق طبع الغني
يا مدره المرأة مهتوكة
ويا مَحامي النَّذل والأرعنِ
ما زلت شيخا نابيا خلقه
فأنت والعمّة من معدن

* * *

شـــمــــتــــه الـروض أريجـــــا . . فـــذوى
خلـتـــه النجم ضـــيـــاء . . فـــهـــوى
وإذا أنـشـــــد شـــــعــــــرا أوروى
ضــــجت الـدنيـــا وضـــاق الـعـــالم

* * *

إذا جن لـيلـى آكل الـســـهــــد جـــائعـــا
ويأكـلنى ســـهـــدى ، ودمع جـــفـــونى
وإن لاح صــــبــح أسـلمــــتـنى للأسـى
عـيـون خـصـومى أو خـصـوم عـيـونى

* * *

الجـــود عـندكم ، أضــــغــــاث أحـــلام
أكل الـذبيـــحـــة من عــــام إلـى عـــام

* * *

وثوى فـى « الخـــان » أوشـــاب العـــجم
مُكـرمــــو « الغلـمـــان » أعــــداءُ الـكرم
صـــائدو الأطـيـــار من بين الحــــرم
لـست مـظـلومـــاً . . فــــإنى ظـالـم

* * *

إيه يا فصل الشتاء ياعدو الفقراء
خانني فيك غذائي ، خانني فيك كسائي
حين عز الدفء في داري وعند الأصدقاء
قلت لله تعالى أجعل النار جزائي

* * *

أأبكي وشعري بين قومي يغرد
وأفنى وذكري في الوجود مخلد
وأشقى الربع جانبه الحيا
وفي الكون آلاف بعلمي تسعد
ولو لم يخافوا الله قالوا صراحة
" أعبد الحميد الديب " إياك نعبد

* * *

نعل تعالى عن الإكبار والعظم
توّج به الرأس لا تلبسهُ في القدم
لو كان في رجل « موسى » يوم موعده
لكان أقدس من واد ومن علم

البدر فى ليلة الغارة

أخـافـنا البـدر فى الهـيـجـاء والـنور
فـالنـور فى مـحنـة الغـارات مـحـذور
ومـا تـعـود مـنا البـدر جـفـوته
لكـن من خـاف منـه الموت مـعـذور

* * *

هل السـمـاء تحـدانا مـشـارقـهـا
ومـا قـضى اللـه لا يخـفـيـه ديجـور
كـأنما البـدر جـاسـوس يتـم بنـا
وكم بمشـرقـة قـد بـات مـسـتـور
أو أنـه نيـة سـوداء يـعلـنهـا
للـكيـد مـضطـلع بـالدرس مـصـدور

* * *

يابدر تـظهـر فى الغـارات مـفـتـضـحـا
لأنت يـابدر نـشـوان ومـخـمـور
يامـشـعل الموت فـى قـوم يـفـاجـئـهم

وليس يدفعه رأى وتقدير
قد تلعن العين حسن الروض إن سكنت
به الأفاعي وحاكته الأعاصير

* قيلت عام ١٩٣٩ أثناء تعرض مدينة القاهرة للغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية .

بأى قوانين الحياة نداس ؟

بــأى قـــوانين الحـــيـــاة نُســـاسُ
وفـى كـل يـوم بـالـطـغــــام نـداس ؟
خـلـقـنـا بجــيـل ذلـة المرء بيـــتــه
عـلى قـــدرة فـى النـابـغـين تقـــاس
فـعــشنا ضـحـايا للـمـواهب والحـجـا
تـرينـا ديـار بين مــصـــر ونـاس
إذا مـــا أبينا الـذل قـــالوا : تـكبـــرا
ويغـــتـــابنا فى الـعـــالمين جـــســـاس
وتـقـطع أيـدينـا تـقـــدم بـالـهـــدى
وأيدى اللـئـــام المجـــرمين « تبـــاس »

عيدى فى السجن !

على القرب من سجن الرئيس وصحبه
وقفت على صمت ودمعى ينطق
ذكرت أحبائى فذابت حشاشتى
وقد كان يضنينى إليهم تشوق
لك الله ياقلبى حزينا محطما
فدمعك من دمع المحاجر أعمق

* * *

أفى العيد أم فى السجن أنظم باكياً
وأيهما فى حلبة السجن أسبق
فأعياد هذا العهد أمست مآتما
تكاد بها الأرواح بالفقر تزهق
قبيل بها للشاء يذبح هانئا
وآخر مذبوح من الفقر يهرق

★ يقصد بالرئيس هنا « أحمد حسين » رئيس حزب مصر الفتاة (١٩٣٩) الذى كان معتقلا يومئذ فى قضية سياسية .

دنياى

دنيــــاى أنـت لغـــيـــرى مـــصــــبحٌ ألقُ
وأنت طيلـة عــــمـــرى الـليـل والغـــسقُ
حـــرمــــتنى وســقــيت الناس من غـــدق
كـــأننى هالـك والنـاس قـــد خلقـــوا
إن التى حـــرمـــتنى قـــبلـةً خـضـــعت
لأنـف وغــــد وأفنى حـــزنـهـــا النـزق
ياوقـــعــهـــا طعنـة فى العـــيش قـــاتـلة
جــرحي بـهـــا مـــالـه شـبـــه ولا نـسق
إذا سلـكت اللظـى فى العـــيش مـــرتجـــيـــا
بعـض الكفــاف كـــوتنى دونـهـــا الحـــرق
مـــر القـــفـــار كـــفـــافى إن ظـفـــرت به
وفـى حـــريرىَ ذا المتـــــروك والخـلـق
يـارب قـــــــد لـعـنونى فـــى ديـارهـم
وهـلهـلـوا دونـى الآثام واخــــتـلقـــوا
والصـــادقـون إذا مـــا أشـفـــقـوا كـــذبوا
والكـاذبون إذا مـــا صـــرحـــوا صـدقـــوا

آخر الأناشيد

طـالـت علـىّ الـسنون واعـــــتـــــصـــــرت
دمـى .. وأوهـى عـــــراكـــــهـــــا دمـى
ولـيس بـعــــد الـشــــبـــــاب لـى أمـل
فـــــفـــــيـم أبقـى ... أمـــــا مـــــضـى زمنـى

* * *

حظى(*)

إن حظـى كـــــدقـــــيق فـــــوق شـــــوك نثـــــروه
ثم قـــــالوا لحـــــفـــــاة يوم ريح اجـــــمـــــعـــــوه

* اختلف النقاد حول نسبة هذا البيت للديب ، لكن رجح العديد من معاصريه أن الديب أطلق هذا البيت فى لحظة من لحظات بؤسه وثورة نفسه ، ويدللون على ذلك أن الديب فى أيام زواجه الأولى عام ١٩٢٩ لم تكن تسعه الدنيا ، وفى لحظة من لحظات الصفاء النادرة التى أحس فيها أن الدنيا ابتسمت له سئل هل مازال متمسكا بعقيدته فى سوء حظه الذى عبر عنه ببيته الشعرى المشهور هذا ، فأجاب : لقد ابتسمت لى الدنيا الآن ، وأنشد قائلا :

إن حظـى كـــدقـــيق فـــوق ورد نثـــروه
ثم قـــالوا لأكف ناعـمـــات يوم عـــيـد اجـمـعـوه
ســـهل الأمـــر علـيـهـم ، قـــول من قـــال اتركـــوه
إن من أعطـاه ربى كـــيـف أنتم تحـــرمـــوه

لماذا شقيت

قــــــاضىّ حـــــاذرْ واعــــــدل
وانـــظــر مـــكـــانـــى مـــن عـــلِ
كُــســيتْ ضـيــائى النيـــرات
وأشــــــرقت مــن مــنزلــى
والـــروض غـــنَّـــى وارتَـــوى
مـن نـغـمـتـى أو جـــدولى
وجـــعـلتُ من حظى وعـــيـــشى
قـــســمـــةً ... لـلمـــجــتلى
فـــاذا بى الـهـــمل الشـــقىّ
أُســــام بــخس ... المُــبــطل
نجــــم هـــــوى ، روض ذوى
مَـــيْتُ ثوى فى مـــجـــهلى
قـــد غـــيض مـــائى .. عىَّ دائى
مـن قـــضـــائى المبـــتلى
فـى كــل يـوم مــــحـنـة
مـن صـحــبـتى أو عـــذّلى

* * *

آمـنتُ بـالـقـــدر الخـــفـىّ
وبـالـقـــضـــاء المـنـزل

والــلـه أعـــــــدل أن يعــــــــذّب
شـــــاعــــــرا لـم يجـــــــهـل
لـكـنّ قـــــومـي حــــاســــــديّ
وتـــاركــي بمــعـــــــــــــزل
إن كـــــان شـــعـــــري مـــسـلـمـيَ
لحــــــــواســـــــدي .. لا أمّ لـي
حـطمــــوا الـغـــصــــون الراقــــصــــات
وأردفــــــــــوا .. بــالـبـلـبـل

* * *

يـا لـيـل .. ياصــــــــــبح .. اعـطـفــــــا
لمعــــــــذّب ... مــــــتــــــعــطّل
أرتــاد أبــواب الجـَـــــــهـــــــاد
فــــــيـنبــــــري لـي عــــــذّلي
هــذا يــجـــــــــــرحنــي .... وذلــك
ممــعــن فـي مـــــــــقـــــــتـلي
فـــأمـــوتُ إذ يحــــيـــا الـطـغـــام
بنعــــــمـــــــة المتـــــفــــضّلِ
يُكـســـــونَ مـن غـــــالي الـلـبـــاس
وأكـــــــــــتـســي بمـهـلـهـل
شـــــربـوا نميــــــري .. بـيـنـمــــــا
أروى بـــفــــــــيـض الحـنـظـل
يـــا طـالمـا ... طـالـعـــــــتـهـــــم

فى أنسهم وتبلبلى
فتضاحكوا وتغامزوا
من كربتى ... وتجملى ..
وبكل يوم يرقبون
ضراعتى وتوسّلى
وأنا أزيد ... كرامةً
مهما تضاعف محملى
وأريهم الضديَّن فى
ضحكى ودمعى المرسل

* * *

وحكومتى إنْ رمتها
لظلامتى لم تقبل
ولو أننى رمتُ .. الحجارة
فُجّرتْ عن سلسل
أولستُ من شعب المليك
فأستظل وأجتلى
ألكم جميع حبائه
طول الحياة وليس لى
يا منِ سألتَ بقسمتى
عن مَيْت حظّى فاسأل
سأظل جهدا أو أموتَ
لعل كربى .. ينجلى !

من شاعر يموت ...
إلى شاعر مات ...

موشك ركبى إلى هذى الرّحاب
تنقضى الدنيا ... ولله المآب
فى طريقى للردى إذ نلتقى
أنا والأحباب فى يوم الحساب
خلّفونى فى الحمى أبكى الحمى
وأُرجىّ الموت فى شرْخ الشباب
كيف لا أرقب موتى وأنا
طول عمرى كل يومٍ لى مُصاب
خلّفتْ لى البؤسَ أمى توأماً
بل أنا البؤس ... أنا نفسى العذاب
لم أكن بالهمشرى فى صحّة
أو جمالٍ أو متاعٍ أو رغابٍ
ليت ربى إذ قضى قد رامنى
وعن المحظىّ للدنيا ... أناب

* * *

كان لى منه وفاء قد خلا
وحماه الله حتى من عتاب
وتناشدتُ وإياه .. فما

عبته أوشام لي شعراً يُعابْ
شاعر أخفاه شعب تختفي
بينه الحكمة أو فصل الخطابْ
عن نمير أو نضير يرعوى
بينما يُزهى بتمويه السرابْ

* * *

كيف أحيا بينه في مِحنة
تملأ الأعين منّي بارتيابٌ
وأنا أسمع دوماً أو أرى
مدح شعري أو تحيات الرقّاب
وإذا طالعتُ يوماً معشراً
يتجافي بي .. ولي فيه الصحاب
كلّهم يزور عنّي ... مثلما
غضب الزاجر من وجه الغراب
فكأني لعنة قد جُسّدتْ
أو رسول لنشورٍ وانقلاب
أطفأوا نوري بتجريحي وما
تركوا لي في المنى أدنى نصاب

* * *

نم صديقي وارتقبني في غد
وغدٌ أقرب من محو الحباب

لـم نمـتع بـحـــــــيـــــــــاة أو غـنـى
فـلـنمـــتّع من تضـــاعـــيف الـتـــراب
لا يـرى الشـــاعـــــر فى مـــصـــر نـدى
غــيــر مـــا تجـدى مـــخـــازى الاكــتـــتـــاب
لـم نُـثب فـــيـــمـــا جـــهـــدنـا .. عُـــمـــرنـا
فـلـنـصـــبــــه الـيـــوم فى دار الـثـــواب

---

* وجه الديب هذه القصيدة إلى روح الشاعر الرومانسى م.ع. الهمشرى الذى رحل عن الحياة فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ وهو فى زهرة عمره إثر عملية جراحية .

توبة

تركت الطِّلا حتّى حطَمْتُ كؤوسى
وخاصمتُ ندمانى بها .. وجليسى
ولى من رضاء الله أذكى مدامة
أبيت بها نشوان غير خسيس
شربت الطلا فى ذكر ربِّى فأسكرتْ
فؤادي كئوسٌ لم تدر برءوس
وقد كنتُ إما أشربُ الخمر سادراً
أثيرِ إغاراتي .. بغير وطيس
وأوقدُ من ماء الرّحيق ... جهنّماً
وأرجو سعودى من ظلام نحوسي
وماذا وراء الخمر ... إلاّ رواية
تمثل أحزانى وشدّةَ بوسى
فأسرف إسراف الخليع وأنتهى
إلى عقل مجنون ونوم حبيسِ
فلا الليلِ أشجانّى بسُكرى ونشْوتى
ولا الصبّح فى ضوء به وشموس
إلى الله أشكو ما فقّدتُ من الصِّبا
بحانة خمّار وبيت قُسوس
فمن يدعنى للكأسّ بعدُ فإننّى
تخذت الهدى كأسى وروح أنيسى

أحزان العيد

من زائرى بالعيد من بالباب ؟
وهم فقدت به رشيد صوابى
قد خلت بالأصحاب بعض هناءتى
واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب
هم قادرون وماتشاء خلالهم
أن يكشفوا كربى وسوء عذابى
لكنهم حذقوا الهروب من الندى
بملامتى فى شقوتى وعتابى
والجسم أصرح فى الردى من خمرة
فيها الردى من تالف الأعناب
ذبحوا الخراف مُخافتين وجددوا
فى عيدهم من فرحة وثياب
أنا لست أستجديهم لكننى
منهم أقر براءتى ومتابى
إن فاتنى عيد الحياة وسِرها
سأرى هناء العيد يوم حسابى!

العزيز الذليل

عظيمٌ .. ولكنَّ الحوادث أعظمُ
وشهمٌ ولكنِّي على الذلّ مرغم
إذا ما رآني سادرٌ .. بين محنتي
حزينا تجافى بى فأبكى وأبسم
مشايعةً للناس أحسو مُدامتي
فسكرى صحوٌ والفؤاد محطّم
لنجدة أوطانى أخف إلى الوغى
فما راعنى هول ولاردنى دم
وهلهلت شعرى فى استثارة أمتى
وكم صحتُ فى قومى إلى المجد أقدموا
سلوا عنِّى الجلاّد كم هزَّ سوطه
بناء تجاليدى ... ولا أتظلّمُ
سلوا عنِّيَ السّجْن الرّهيب كم انبري
بمعقله منّى رفات وأعظمُ
وأستنزلُ العُصمْ الحَصَان من المنيِ
بجمر من الأشعار منه ... جهنّم
فجوزيتُ من تلك البلاد ... بما ترى
سجودٌ لأشعارى وعيشى مُعدم
إذا رمتُ عيشى من جهودى وهمتى

تنكر لى منهم كفورٌ .. ومسلمُ ..
وقالوا أخو كبر ... وفيه مجانةٌ
يؤخر رجلاً فى العلا ... ويقدّمُ
ويأكل عرضى منهمُ كلُّ حاسد
له همّة أخرى وحظٌّ مقدّمُ
تصافحنى أطراف أيد ... أثيمة
ولو قدرونى بالقلوب لَسلّموا ...
ألستُ شبيه الطّير يشدو مغرّدا
لقوم ... ليسليهم ويُذبح ... منهمُ
ألستُ إلَهاً ... كلما لاح نوره
هدى الناس رحمانا وهُمْ فيه : أجرموا

ركب السعداء

مشى الركب لم يعبأ بدمعي ولادمي
وخلفني أبكي على قبر ملهم
على قبر حظي في الحياة وقسمتي
على ميْت آمالي وعيشي المحطم
تخلفت عنكم مرغما وكأنني
أنا الكافر المنبوذ من كل مسلم
مشى الركب والنعمى تحف بدربه
ويسبق ركب الحظ في كل مغنم
أكلتم .. لبستم كل خزٍ وعسجد
وقُدْتم حمى الدنيا قُيادة ملجمٍ
وجندتم الأجناد تحت لوائكم
عبيداً لكم مابين نذل ومجرم
رأيناكم في المجد لم يعد خطبكم
هناءة ميسور ولذة معدم
إذا ما حرمنا الرزق والعرض وافر
فلسنا نبالي العيش بين جهنم !

بؤسى وبؤس طه

عشرون عاما أنادي
ولم أجد لى سميعا
وأنّ طه فأنت
له البلاد جميعا
يارب حتى ببؤسى
أرى مكانى وضيعا
يبكون عن بؤس طه
ولم يذق فيه جوعا
ولا تشرّد يوما
ولا أصاغ مطيعا
ولا عداه رحيل
لم يرج منه رجوعا
أما أنا ، فترانى
فى كل يوم صريعا
مامر يوم بعمرى
إلا وكان مريعا
مهاجر فى شقاء
أطويه عريا وجوعا

---

* يقصد د. طه حسين وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناة .

أرجـــو الحـــيـــاة كـــفـــافـــاً
واليـــســـر لـن أســـتطيـــعـــا
وإن بـــؤســـت كـــطـــه
أرى الحـــيـــاة ربيـــعـــا
مـــالاً ، وجـــاهـا ، وعـلمـــاً
وثروة لـن تـضـــيـــعـــا

البلبل الذبيح

عـــيـــون المعـــزِّي ، أيـن منك دمـــوعى ؟ ..
وقـلـب المـعـــــزى أين مـنـك هــلوعـى ؟ ..
لـقـــد ألـبـــســونـى التّـــاج فـيٍ ذلّ دولتـى
فـــيـــا مُلـك مـــغلوب ، وعـــز وضـــيـع
تعـطّرت الـدنيـــا بشـــعـــرى فـــصـــوّحتْ
بمـهـــــزلـة الأحــــقــــاد زهـر ربيـــعـى
يقـــولون : مـــوهـوب على عـــبـــقـــريّة
فـــهل عـــبــقـــرى من يـعـــيش بجـــوع ؟ ..
ولـم أدر مـــــا حظ الأُلَى يهــــدمـــوننى
ســـوى أنهـم يبـــغـــون ذبـح صـــريـع
وأســـمــعت أبـراج الســـمــــاء شكـايتـى
ولـلأرضِ ... لم أظـفـــــر بأىّ ســمــيـع
إذا رمـتُ عـــيـــشى عـــامـــلا فـكـأنّنـى
رجــوت يهـــوذا .. رحـــمـــةً بـيــســوع
فـــأقـــدمت لـلعـــيش الـكـفـــاف مـــجنّدا
مـــواهب لـم تـخـلق لـغـــيـــر رفـــيع

معهد الموسيقى

يا دار داود ما فاتتْك سَرَّاءُ
يشدو بها مُلهماً غصَن وورقاءُ
آسيت كل جراح القلب من نغم
يُرجى به من عيون الفن أكفاء
من عازف أو هتوف إن هما اجتمعا
تجمَّع الحسنُ، والمخضرُّ، والماءُ
وعبقريّ غناء من ترنمه
تصفو النفوس، فما في الناس أعداء
فتخلق الحب موسيقاه ملهمة
وكل فن له خلق وإنشاءُ
إذا سرى بين مَوتَى سحر نغمته
أعادهم وهمُ في الناس أحياء
والعُودُ كالقلب في تكوين خلقته
أوتارهُ ونياطُ القلب أنداءُ
ولست أهضم «القانون» نغمته
فذاك شيخٌ .. له الآلات أبناءُ
«والنَّايُ» إن صحب «القيثار» فاستمعوا
صوت العبيد بِذلِّ الرِّقِّ قد ناءوا

للطار والطبل دقات منغمة
كالقلب فى شغف تسبيه حسناء

* * *

يا معهد الفن ، يا أهرام دولته
وياسماء بها للفن إسْرَاء
فيك العبادة ألحان مقدسة
وكل ماتحوى لله إرضاء
كم ذا تخرج للدنيا ملائكة
فما لفضلك تقدير وإحصاء
كانت عواطفنا مرضى فكنت لها
بُرءاً أقام بها ، واستؤصل الداء
جعلت تربية الأوطان مرهفة
والفجر يُمْحَى به ليل وظلماء

هات المدام

هات المدام فدين الله تيسيرِ
فأسعد الناس مخمورٌ ومخدورُ
هات المدام ولاتعرض لمتْربتى
مهما غَلا العيش لَم تَغلُ القوارير
هات المدام الصَّبُوح البكر يحملها
إليك أخنسُ سَاجى الطِرف مغرور
إذا دعوتَ تراخى عنك مُعتذرا
وأسكرتْ كالطِّلا منه المعاذير
فديتها حانة «الحاخام» هادئة
سكْرى يُعربدُ فيها الحُسْن والنور

ليتنا مثلهم

نعيب الحضارة ، عيش العراء
وورد العيون وسكنى الخباء
ومن لى بعيش بها فى كفاف
وخلق رضىٍّ كصفو السماء
ومن لى بصبح تهب الخزامى
به فأصيب المنى والرجاء
لقد محلت فى القصور النفوس
فكل الذى تجتليه رياء
وبين الحضارة مات الندى
ولم يعرف الناس معنى الإباء
وبين الحضارة عاش النفاق
فكل الذى شاءه المال شاء
فلا مستجير يرى منجدا
وكيف يجيب الأصم النداء ؟
ولا وطن ريع يلقى يدا
تزور وقلبا يضم الوفاء
جمال البداوة أو مجدها
بعيد عن اللغو والأدعياء
جمال من المضرىِّ الأبى

عظيم الخلال عظيم البلاء
إذا هاجم الجلسة الفاتحون
تصدى الرجال لها والنساء
وأرخصت الذادة الروح كبراً
وهان عليهم عزيز الدماء
وفى الخطب لم يذكروا أى خلف
ولم يعرفوا بينهم من عداء
جوار الشباب يهب الشيوخ
إلى الحرب كلهم أوفياء
فأين الحضارة من عيشة
بها كل رأس يمس السماء
وأين الحضارة من جنة
غنى النفس فيها بعود وماء؟
وأين الثريا وأين الثرى
وأين من البدر هذا البهاء؟

أحزان الأسد

مشى يختال فى الغابه
له الأدغال أوابه
فلا يشحذ عينيه
لما يلقى .. ولانابه
له كبر يعذبه
وكبر الليث ماعابه
حسير اللحظ همته
لدى الأرزاء وثابه
وئيد الخطو وثبته
إذا ما اهتيج غلابه
وحوش الغاب خاشعة
أمام الليث هيابه
فلا منها أخو شمم
يغلّق دونه بابه
ولا عاص ولا حاقد
على مولاه أسلابه
إذا ما الجوع أرغمها
أتت تمتاح أعتابه
إذا ما رابها زمن

فليست منه مرتابه
يراها فى معيته
أعابده وحجابه

* * *

فجرّتْ شرة الإنسان
للضرغام أوصابه
تصيد شبابه فرحا
يغذى منه آرابه
وخلى الفيل فى حرق
فيا الله مانابه
فجاء الليث ملتهبا
تخال الموت إرهابه
فلم ير شبله ورأى
لذئب الشبل أثوابه
فجن جنونه وجرى
وكل الكون قد رابه
ومن ترجيع زأرته
أقام البعث فى الغابه
وحارب حرب موتور
أعاديه وأحبابه
فهد الثقل قوته

وأضـــنى مـنـه أعـــــــــــصــــــــــابـه
ومـــن يـفـــــــــــجـع بـــواحـــــــــــدة
ســـــــــقـــــــاه زمـــــــــانـه صـــــابـه
فـــــــمـــــــات الـليث منتـــــحــــــرا
بمدمـــــعــــــه ومـــــــا انتــــــابـه
ودمـــع الـــلـيـــث يـقـــــــــــتـلـه
ويـفـنـى فـــــيــــــه أحــــــبــــــابـه

جنة وصحراء

مــــــا راح فـى مـــــــحنـة الأيـام أو جـــــاءَ
إلا أضـــــاف إلـى الـبــــأســـــاء بـأســـــاءَ
وإن تطـلـب غـــــيـــــرى عـــــيـــشــــــه رغـــــدا
كـــــانت لـه الناس والدنيــــا كـــمـــــا شـــاء
والـدهر مـنى كـــــأنى عـــــبـــــقـــــريتــــــه
مــــــا آدنـى إلـفـــــه بكـرا وإنـشــــــاء
زلـت بمصــــــر نـفـــــوس النـابغــــين بـهـــــا
فـكم أهـينوا بـهــــا مـــــوتـى وأحـــــيـــــاء
والجـــهل فـى الـشـــعب يعـــمــــيـــه فليس يرى
إلا الـكفــــايات والأكـــــفـــــاء أعـــــداء

*   *   *

يا مـــصـــر.. ياجنة الدنيــــا ونعــــمـــتـــهـــا
لـم تـلـف بـيـنـك لا زرعـــــــا ولا مـــــــاء
أطـاـعـت لـلـنـاس خـلـدا لا نـفـــــــاد لـه
بـيـنـا نـداك طـوال الـدهـر صــــــحــــــراء
إذا مـــــرضـنـا وآدتـنـا مـــــــواجـــــعـنـا
كـــــانـت منيــــاتنا فـــيـك الأطـبـــــاء
وإن عـــشـــقـنا وجـــدنا فـى صــبـــابتنـا
كـــــانـت عـــواذلنا فـــيـك الأحـــبـــاء

وإن شـــــربنا بكأس ، فـــــالرحـــــيق بهـــــا
دمـــــوعنا وحـــــمـــــيـــــاها غـــــدت داء
فـــــأى حـــــال نـرجـــــيـــــهـــــا لتـــــســـــعـــــدنا
يـارب أهـلك بـهـــــذا الـشـــــعـــــب حـــــواء

النجوم

أنجـــوم أنـت أم دمع الـســـمـــــاء خـبـرينى
أم جـــواسـيـس علينا رقـــبــــاء كـل حـين
أنت يـا أنجم أسـيــاف الـقــضـــاء فـارحمينى

*   *   *

عـــاشـقـــات أنت فى ثـوب الـسـهـــاد لـن تنـامـى
كـلـنا جــــانبـــه طـيـب الرقـــاد فى الغــرام
لـيـس يـثـنـيـنـا إلـي يـوم المـعـــــاد أى هـــون

*   *   *

يـالحــــاظ الحـــور مـن بـين الجنـان وامـضـات
يانقــــودا ضـــربت أيـدى الزمــــان خـــالدات
يا عــقـــودا فــوق أجـيــاد الحــســان ارحـمـينى

موت القمر

طلع البدر غريقا
بين أمواج الغمام
لايرى فيها طريقا
بالغاً برَّ السلام

* * *

وأنا أرنو إليه
بين يأس ورجاء
طرت من حزنى عليه
فوق أسباب السماء

* * *

صحت فى الأنجم أبغى عونها
فى خلاص البدر من موت مشين
فتولت وتجلى حقدها
كيف يرجى العون من خصم مبين

* * *

قلت يا أرض : انجدى بدر السماء
واذكرى إشراقه بين الظلام

---

* يعتقد اليب أن القمر «شاعر السماء» ، وأنه «شاعر الغبراء» ولهذا أنشد هذه القصيدة يصف فيها تقاعس الكون عن نجدة القمر وهو يموت .

إن فـــجـــعنا فـــيـــه فـــالـدنيـــا هبـــاء
وعلى الأرض ومن فـــيـــهـــا الســـلام

*　*　*

فـــعـــرا آذانـهـــا وقـــــر صنيع
وتعـــامت عن دمـــوع المســـتـــجـــيـــر
وبدا فى وجـــهـــهـــا لؤم وضـــيـــع
يظهـــر الحـــقـــد على البـــدر المنيـــر

*　*　*

أيـهـــا المدلـج : هـل تنسى مـــجـــيـــرك
من تجـلى عـطـفـــه بين ســـراك
أيـهـــا الـعـــاشق : هـل تلـغى شـعـــورك
فى هـلال البـــدر .. مـــا أقـــسى هـواك

*　*　*

انـــظـــر الـــورد يـــنـــاجـــى
حـــسنه بين الخـــمـــيـلـه
انظـر الـطيـــر يهـــاجـــر
دونـــه حـــتـى خـلـيـلـه

*　*　*

ليس غـــيـــر الحـــسن يبكى للـجـــمـــيل
لـيس غـــيـــر الطيـــر والورد الـنضـــيـــر

ليس للبدر حبيب أو خليل
غير شدو مستجاب أو عبير

* * *

هكذا فى الأرض يقضى
شاعرٌ وفى السماء
كل من فى الكون يغضى
عن شقاء الشعراء !

عرس المليك

أنات محروم، وذلة عافى
وشقاء مغمور المواهب خافى
وأجوس جنّات النعيم إلى العلا
فإذا بأرجاء الجحيم مطافى
والناس قد جعلوا ازدرائى فكرة
توحى بها الأسلاف للأخلاف
وحرمت حتى من حنان عشيرتى
لا راحمى أهلى ولا أُلاّفى

* * *

أأصوغ فى عرس المليك قصيدة
وأنا إلى الموت الرهيب زفافى؟ ..
وطويت عمرى لم أفز بحليلة
إلا حليلة عزتى وعفافى
لو كنت من شَعب المليك نظمتها
من مهجتى وعواطفى وشغافى ...!

(*) قالها عندما طلب منه تهنئة الملك فاروق بزفافه عام ١٩٣٨ على الملكة فريدة.

حتى الرغيف فقدناه ! ..

عـــادت لـيـــالى ابـن يعـــقـــوب ودولـتـــه
وآدنـا المحـل لا مـــــاء ولا شـــــجـــــرُ
نـرعى الـهـــشـــيم بـوادينا عـلـى سـغـب
والـيـــانـع النضـــر يـرعى الـشـــابع الـبطر
إذا اســتـغـــثـنـا طبـيـــبـــا فى مـــواجـعـنا
بـدا لـنـا جـــرحــــه والموت يـنـتـظر
وكـم ســــحـــاب رجـــونـاه لـيـــمـطرنـا
فـــجـــادنـا من نـداه الجـــمــــر والشّـــررُ
حــتى الرغـــيف فـــقـــدناه ولا عـــجَـبُ
فـنحـن فـى أمّـــة أيـامـــهـــا عـــبـــرُ

* * *

فـى الحــــرب والـسـلم نـشكـو لـيس يـنجـــدنـا
إلا خــــبـــيـث يـردّينـا ويـعــــتـــذر
أحـــيـــاء مـــوتى مـن الـبلـوى وكم مـــحـنٍ
يـبـــدو بـهـــا يُسْـرنا والـبـؤس يسـتـتـرُ
أجـنّة الخـلد فـى مـــصـــر مـــصـــوّحـــةٌ
والنّـار فى غـــيـــرها لـلخـيـــر مـــدّخـــر ؟

منع اللحم ! ..

((منعت الحكومة عام ١٩٤٠ ذبح اللحوم ثلاثة أيام فى الأسبوع فكتب الديب هذه الأبيات اللاذعة)) ..

كـلوا الحـكـومـــــة أو مـــــوتـوا من الجـــــوع
صـــوت الضـعـــيف المرَّجى غـــيـر مـــسـمـــوع
قـــد حـــرّمـــوا اللـحم فـى يومين هـل علمـــوا
أن لـيس فـى فـــعـلـهم زيـن لـتـــشـــريـع
حـكومـــــة الـفـــقـــر والأيـام قـــبـلهـم
علـى الورى حـــرمـــتــــه ألف أســـبـــوع ! ..

بين الوطنية والفاقة ! ..

رضـــيتُ ، ومن يَمْـــرنَ على حـــزنه يَرْضَى
فـــيـــاظلّ أحـــلام تقلّص وانفـــضّـــا
ويـا ســـامـــر الدنيـــا ومـــوكب يسرهـا
تجـــافـيت بي نفْـــلاً وأنكرتني فـــرضـــاً
كـــأنيَ بين الناس لعنة جـــيلهم
فـمن شمْتُ منه العـيشِ أوسعنى رفـضـا
ويحـــتـــال حـــتى مـــا يُفـــرّج .. كُـــربتى
إذا عيّ بي كـــلاً ، يجـــرّحنى بعـــضـــا

*   *   *

وقـــدمتُ نفـــسى للبـــلاد بخطبـــهـــا
فـداءً ، فـسـامـتـني نواظـرها غـمـضـا
أحـــتى إذا قـــدّمتُ مـــســـتـكـرهاً دمى
لشـــعـــبى ، أســـامُ البـــغض منه فـــلا يرضى
يعـــدّونه منى انتـــحـــاراً لفـــاقـــتى
ولسنا ضـحـايا البـؤس مـثلهم مـرضى

*   *   *

أيملأ هذا الشـــعب حـــبى ورحـــمـــتى
ويفـــجـــعنى فى كل مـــضطرب بغـــضـــا ؟
أريد ســـمـــاءً بالجـــهـــاد تعـــزّنى

وشعبيَ يأبى أن يُبوئني أرضا
أحوليَ هذا الرعد والبرق وامضاً ..
وتخبو حياتي لا أشيم بها ومضا ؟ ..
لقد جنّدتني الحادثات لحربِها ..
فأي حقوق للبلاد بها تُقضى
قضاء بإعدامي غداة شبيبتي
عجزت فلم أملك لضربته نقْضا

* * *

أريد انتظامي بين أجناد أمتي
أقدم قرباناً شبابي لها غضا
ولكنّ عجزي عن كفافي يؤودني
فلم أذْرِ طولا للجهاد ولا عرضا
لئن كان عزمي ماضياً ، فنوائبي
إذا عصفت بالعزم ظافرة أمضى

ثورة محروم ! ..

((نظم الشاعر هذه القصيدة الصارخة عام ١٩٣٩ حيث تعرض بسببها للكثير من المتاعب))

بكم يباع غباء الناس فى بلد
لا نافعى بينه علمى ولا أدبى
القابضون على أسباب نعمته
من آكلى العرض أو من آكلى الذهب
والمرسلون لتثقيف العقول به
جهابذٌ فى استراق الفكر والكتب
فرض على شعب مصر أن يدين لهم
كالسّامريين بين العجل والقرب
أين السجون لنغشاها فتنقذنا
من سجننا فى غيابات من الكذب
متى تحرّرَ شعبٌ من مضلّله ..
لأن العصى له فى كل مضطرب
سلوا موالية الأفكار أى هدى
فى الليل ، أيٍ ندى فى النار واللهب ؟ ..
بمصر كلّ غبّى ساكنٌ فلكاً
والعبقرىّ بها سكناه من حطب
من لى بيوم .. ضريح أستجّم به
فى يقظة النصر أو فى صرعة الغلب ! ..

الطائرة الساقطة ! ..

((يصف عبد الحميد الديب فى هذه القصيدة الطريفة سقوط طائرة ألمانية فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية))

يحمى الإله ملائكا قذفوك
وسقوا حطامك منِ دموع بنيك
أغروك بالأرض الحَصَان من الردى
باسكندريّة ليتهم نصحوك
كم ألف قاذفة توارى نجمها
قذف الكماة بها كما قذفوك

* * *

اسمع حديث الطائرة
انظر إليها صاغرة
تلك الضخامة والوجاهة
فى مداها ظاهرة
كانت عروس الجو تجلى
فى هناها عاطرة
كم غردّتْ بين الكواكب
فى الليالى الزاهرة
كم طوّفتْ كم وقّفتْ
ومقيمة ومسافرة

دارت مع الأفلاك فانقضت
عليها قاهرة
دارت فلمّا أن طغت
دارت عليها دائرة
قد آمنت لكنما
للحرب نفس كافرة ! ..

الضرير ...

سجنوا عليك الكون أم سجنوكا ؟ ..
لو أنصفوا فى ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك أو نعيمك شهوة
وتقاسموك كأنهم خلقوكا
لم يرحموك على عماك كأنهم
حسبوا العذاب على العمى يهنيكا
نم يا ضرير ، ففى عماك سعادة
ألاَّ ترى عيناك من ظلموكا
ألاَّ ترى أثر الطغاة وجورهم
عرضاً ذبيحاً ، أو دماً مسفوكا
ألا ترى الدنيا شخوص رواية
ضلّت وضلوا شرعة وسلوكا
صادوك فاتخذوك لعبة ملجأ
كم عذبوك به وكم ضربوكا
يا شيخ أضناك المشيب أو العمى
فلجأت حراً لم تكن صعلوكا

* * *

فى الغرب كل اللاجئين تخالهم
بين النعيم المستقرّ ملوكا

وهمو بمصر معذبون أذلة
ملكوا على الرق المهين صكوكا
يحيون فى ظل الإسار وضيقه
بأشد من عيش السجون حلوكا
ثاروا وثاروا والحكومة لم تزد
إلا ظنوناً حولهم وشكوكا
وهمو كباقى الشعب فى بأسائه
ظلُّ الحنو به غدا متروكا
رَغبوا السجون من الملاجئ إذ رأوا
فيها الخلاص من الإسار وشيكا

إذا جبن الشباب ! ..

((قال الشاعر هذه القصيدة الغاضبة سنة ١٩٤٠ حينما رأى تخاذل الشباب عن الدفاع عن مصر أثناء اشتعال نار الحرب العالمية الثانية))

أقلني لا هززتك يارباب
فما سمع الصّحاب ولا استجابوا
شجاهم فى الحمى منّى هتوفٌ
فقال القوم قد نعب الغراب
سما هزجي على نفخات صور
يعود إلى الحياة بها التراب
فما للمواطنىّ تملكتهم
على الألحان أسماع كذاب
أهبتُ بهم إلى بعث فماتوا
كأن ديارهمّ منهمْ خراب
ومن للدار يحميها إذا ما
لوى عنها الشيوخ أو الشباب
إذا جبن الشباب عن المنايا
تخوض غمارها الخوْد الكعاب

* * *

نعام فى الوغى يا آل مصر
وفى غير الوغى ظُفر وناب

أبين عــــجـــاجــــهـــا نبلـى بُخْلـف
يؤجــــجـــه انـقـــلاب وانتــــخــــابٌ
تـناســـوا كـل حـــرب غـــيـــر حـــرب
عـلى الأبـواب مـــافــيــهـــا ارتـيـــاب

* * *

إذا بـتـم لمـذكـــيـــهـــا نـعـــاجـــا
فـكـل جـنـوده فـــيـــهـــا ذئـاب
وإن عـــاجلـتـــمـــوهـا أسْـــدَ غــاب
فـلـلأسْـــد الـغـنيـــمـــة والـغـــلابٌ
تـعـــالى مـــجـــدُ مـــصـــر أن يُـردّى
بـشـــرذمـــة أخـــافـــوا واســـتَّـرابـوا
دعـــاة هـزيـمـة أشـــيـــاع جـبن
ومــن آرائـهــم خُـلــق الـســـــراب
ومـــا يـبـــغـــون حـــربـا أو ســـلامـــاً
ولـكـن كل هـمـــهـــمـــو اكـــتـــســـاب
إلـى الهـــيـــجـــاء إنّ بـهـــا حـــيـــاة
ومـــجـــداً لا يـزول ولا يُشـــاب

التضحية !..

((نظمت هذه القصيدة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠)) أثناء الحرب العالمية الثانية.

يا يوم عيد المنية
فى حومة الميدان
أنا الفدا والضَّحية
للشعب والأوطان

* * *

دمى وروحى وديعة
وكل حى فان
أنا إمام الطليعة
إذ يلتقى الجيشان

* * *

إن متّ قربان قومى
بلغتُ كلّ مُنايا
ولن يؤخّر يومى
خوضى غمار المنايا

* * *

عن الجدود القدامى
ورثت حُبّ القتال
إذا شرعت الحساما

دكـكـت شُـمَّ الجــــــــــبـــــــال

*   *   *

الـتـــــضـــــحـــــيـــــاتُ يقـــــيـنى
وعـــــصـــــمـــــتى وجـــــلالـى
بـــهــــــــــا تـــألَّـــق ديـنـى
بـــين الـقـــنـا والـــنِّـصـــــــــال

*   *   *

أنـا الـــعــــــــلا والفـــــــــتـــــوَّه
أنـــا الـوغـــى والـــكـــفـــــــــاح
خلـقـت عـــــزمــــا وقـــــــوه
أرى بمـــاضـــى الـــسِّـــــــــلاح

*   *   *

نـــســـيـتُ فى الحـــــرب نفـــــسى
لمـــا ذكـــــــــرتُ الــوطـــنْ
لــه شـــــبـــــــابى وبـأســـى
لــه حـــــيـــــــاتى ثـــمــنْ! ..

*   *   *

خـلـــوا جـــــــــراحـى بـجـنـبـى
لاَ تـعْـــجَـلُـوا بـالـشـــــفــــــاء
حـــــــــتـى ألاقــى ربــى
فــى حـــلــة مـــن دمـــــــــاء !..

إلى إخوانى التاعسين

مـن رقـص مـــــــــــذبـوح وأنّ كـظـيـم
إحــيـــاء مــقـبـــور وبعث رمـيـم
لا أهـلـنـا تـركـــــوا ومـــــا تـرَك البـلـى
بـديارنـا الســــوداء غــــيـــر رســـوم
ونجـــوع أو نظـمـــا فـــلا نجـــد النّـدى
إلاّ كـــــؤوســا أتـرعت بـهـــمــــوم
خطبـــان فى الدنيـــا يؤود ... كـــلاهـمـــا
طـرق المـنـون وحُـــــرقـــــــة المكـلـوم
وإذا شـكـونـا لـلـحـكـومــــــــة لانـرى
إلا الســّجــــون نـهــــاية المظـلـوم
والشــــعــب ينـكـرنـا كـــأنّـا لـعـنـة
أو آفـــــة تجـــتـــاح كـلّ سـلـيـم
فـــذبولـنـا ودمـــوعنا .. وســقـــامنـا
تـزويـر أفّـــاك ... وكـــذب مـلـوم
أنـا لا أحـــابـى بـل أقــــرر واقـــعـــاً
نـزّهـتُ شـــعـــرى عـن ريـاء ذمـــيـم

بؤس الفلاح ...

كلُّ الحياة بهذه الفأس
مِن أخمص الدنيا إلى الرأس
حَسْب ابن بجدتها وحاملها
بين العبقريّة عِزّةِ النّفس
بين المروج عروسها تُجلى
وتُزف من عُرسٍ إلى عرس
كم أنبتت فى قَاحل ذهباً
وجرْت على الأزهار كالكأس
هى فرحة ، إلا إذا حُملتْ
لتشُقّ رأس الميت بالرمس
فى يومها غَرْسُ وفى غدها
جَنْى لما أجرته فى أمس
وتُرى على كتف مجرحةً
كالتاج مُلتَمعاً على الرأس

صوت الفقير...

فى الحرب المقبلة ...

حـــــربى لأجلك يا بلادى فـــــاسلمى
أفــــــديك يـا وطنـى بـروحى أو دمـى
أأخـــــاف من هـول الحــــروب ونـارهـا
وطوال عـــمـــرى بين نـار ... جـــهنّـم
فـى كلّ يـوم لى حــروب مــعـــيـــشـــة
عــيش الكفـــاف بـهـــا نهـــاية مـــغنمىً
والجـــوع أيســـر مـــا تـعـــانى أســرتى
وكـــأننا من غـــيـــر بطن أو فـم
هزلت جـســوم بنيـتى وشـقـيـقـهـا
وحـليـلـتى وأنـا ، فـلـم نـتـــألـم
فلقـــد مَـرنَّا فى الحـيـــاة على الأسى
ســيـــان كـنا فـِى هَـنـَا أو مــأتـم ...
كـم مـــرة قـــررتُ قـــتـلـة أســـرتى
وأداً فــــأرجـــعـنى يـقين المسلم ...
أطـوى النهـــار رهين فـــأسى جـــاهـداً
وأعـــود ... يـا ويلاه ... عـــود المرغم
فلمن تُرى نصـــبى يـعـــود ثمــاره؟ ..

(*) نظمها عام ١٩٣٨ ومصر على أبواب الحرب العالمية الثانية

هي للغنيِّ مُعذبي .. ومحطمي
أشكو إليه خصاصتي وكأنني
أشكو إلي كلف بكيدي .. مغرم ..
يختال ثم يجيبني من معطس
نشوان ، إن حطّمته لم أظلمَ
والباخل الميسورُ في مصرٍ يرى
أن الغني يوفيه إن لم يرِّحم
«ما البلشفية» ، مذهبي فأناله
بمساءة حتى أفوز بأنعم
لكنّني أبغي الحياة كمثله
وأنا وإياه .. نُمتُّ لآدم
ما كان من ذهب ولا من فضّة
بل كانِ من لحمٍ يُقام بأعظمَ
أمحرمُ أكلي ولِبسي فضلة ..
فإن استبدّ به فغير مُحرّم
هيّا إلى الحرب الضروس فإنها
هي وحدها القاضي بقتل المجرم
والحرب كالطوفان يطهر بعدها
وجه البسيطة من هوى أو مأثم ..!

صيف القاهره ...

أثارُ الجحيم ، أم القاهرة ؟ ..
ودنياى تلك أم الآخرة ؟ ..
لقد أحرق الليل جمر النهَّار
فما ينقضى القيظ والهاجرة
وصار النسيم كلفح الهْجير
وأنفاس بمحتضر خائرة
وطول الطريق كطول الصِّراط
تَؤُودُ فظاعته عابرة
ومن يلتمس ما بها من ظلال
فقد باء بالصفقة الخاسرة
فليست ظلالا ولكنها
مثارٌ لنقع من الحافرة
كأنّ بأرجائها فُجّرت
براكينُ غاضبةٌ ثائرة

* * *

ودارُ المعزّ مصيف الفقير
ينابيعه بينها غائرة
فصنعته لاتفيد الكفاف

وسلعته مرّة بائرة
تعدّ الطبيعة أحكامها
على عيشة أبدا جائرة
وكل امرئ عنه لاه حزين
من القيظ أعطافه نافرة

* * *

ومن للفقير وعيش الفقير
يَرى بين أمّته ناصره
دعوني أحدثكمو عن أساهُ
وعن نفسه الحرة الصابرة
فبيْنا دنَتْ للغنيّ الحياة
بمصطافه حلوة باهرة
يعلّ وينهلُ من وِرْدها
ويَجْنى بها المتع الفاجرة
يعود إليه ربيع الشّباب
وتبدو بشاشته ناضرة
إذا بين مصطافنا معركٌ
تصول به النُّوبُ السّافرة
فيومٌ سقامٌ ويومٌ صيامٌ
ويومٌ جهلنا به آخره
وما ندرك الفرق بين الفصول
فأيامنا كلّها كافرة! ..

أنا .. ورمضان !..

آه لو يجدي بكائي ونحيبي
لألانتْ أدمعي صخر القلوب
إن يكن ذا الصوم جوعا فخطوبي
جعلت عمري جميعا رمضان
صائم طول الحياة
زادُه تقوى الإله
صابر ، ما قال آه
أيها الناس ارحموه

* * *

ذلك الود بنيّ وبناتي
يتّموا من فقر عيش في حياتي
وهمُ صومي لربّي وصَلاتي
لم يروْا من قادرٍ أيّ حنان
حكمة الصوم شعُور الألمّ
فاذكرونا واذكروا كيد الزّمان
صائم طول الحياة
زاده تقوى الاله
صابر ما قال آه

أيهـــا الناس ارحـــمـــوه

* * *

هـاهـو المغـــرب وافـى ، أيـن زادى؟
وعـــيـــالى فى ارتقـــاب لمعـــادى
ليس غـــيـــر الدّمع زادي وعـــتـــادى
مـــوقفٌ أقـــتلُ من وقع السِّنان

* * *

أشـــعـــروا البـــائس شـــهـــراً بالسُّـــرور
فـــالذى يهـــدأ بالجـــوع يثـــور
إنّ لـلأيّام أفـــلاكـــاً تـدور
كم مُـعين ذاق بؤسـاً فـاسـتـعـان
صـــائم طول الحـــيـــاة
زاده تـــقـــوى الإلـــه
صـــابر مـــاقـــال آه
أيهـــا الناس ارحـــمـــوه

* * *

لا تروضـــونا على ذلّ الســـؤال
ليس يمحـــو عـــزّتى رقَّـــة حـــالى
أنا إن قـلَّ عـلى الأيّـام مـــالى
لـــيـــس لـــلـــدهـــر بـــإذلالـــى يـــدان
لم يرعـنى بين حـــربٍ أو ســـلام
غـــيـــر بخل النّاس فى شـــهـــرِ الصّـــيام

يفطر العاجز عن نيل الطّعام
وهو ينعى فطره فى رمضان
صائم طول الحياه
زاده تقوى الإله
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

البائس فى رمضان !..

صائم طول الحياه(*)
زاده تقوى الاله
ماله فى الناس جاه
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

* * *

والذى أرسلكم خير الأمم
جعل الصوم كفيلا بالكرم
حيثما جعتم تُحسّون الألم
إن للمحروم فى المال قسم
أيها الناس ارحموه

* * *

أشعروا البائس يوما بالسرور
تحمدوا بين الورى طول الدهور
إن للأرزاق أفلاكا تدور
والذى يهدأ أحيانا يثور
أيها الناس ارحموه

* * *

(*) كرر الشاعر هنا المطلع نفسه الذى جاء بقصيدته «أنا ورمضان»

للمساكين افتحوا غُلف القلوب
واذكروهم فى شروق وغروب
إن فيهم جيشكم وقت الحروب
احفظوا المسكين من عادى الخطوب
أيها الناس ارحموه

* * *

ابعثوا الصحراء تخضرّ رباها
فجّروا الصمّاء شهداً أو مياها
بلّغوا الأوطان فى الدنيا مناها
إن للمسكين فى مصر أساها
أيها الناس ارحموه

* * *

بيته هذا العراءْ
ثوبه بال هباء
بين صيفٍ وشتاءْ
لم يصب إلا الشقاء
أيها الناس ارحموه

* * *

عاش منبوذا طريدا
يشرب البلوى وحيدا
فليعش فيكم سعيدا
أو يمت حرا شهيدا
أيها الناس ارحموه

صوت الفقير...

فى تحية رمضان ...

أحـــــيــك أم أبكى لطول شـــقــائى؟ ..
وأطريك أم أضـــفى عليك هجــائى؟ ..
أيا رمـــضــان الموسـرين وعــيـدهم
ومــــوسم أفـــــراح لـهم وهـناء
يجــوعــون إذ يبــغــون بالجــوع صـحـة
ويبــغــون بالإمــســاك كل شــفــاء
ومــا ذكــروا جــوع الفــقــيــر وعــسـره
ولا اســتــشــعــروا بالصّــوم أى سـخــاء
ومــا أمــسكوا عن شــهـــوة غــيــر بطنهم
فــمــا عـــرفــوا للدّين ... أىّ وفـــاء ؟ ..
وآليت لم تمررْ بنا .. غـــيـــر باخل
نذوق عــلـى أيـديك شـــــــرّ بلاءٍ
وإن كــان صــوم النّاس جــوعـا فــإنّنا
صـيـامٌ ، كــمـا تهــوى ، صـبـاح مـسـاء
ونلقى مــرىء الفطر صــبــحـا مـصـادفـا
ومُــرّ الطوى فى مــغــرب وعــشــاء

(*) كذا فى الأصل .

يـؤذّن بـالإفـطـار لـلـنّـاس مـغـربـا
ونـحن حـيـارى لم نـفـز بـذمـاء

* * *

إلـى أمم الإسـلام أُزجـى قـصـيـدتـى
ومـاهـى إلا مـنـيـتـى .. ورجـائـى
لقـد وجـد الإسـلام فى الأرضِ رحـمـةً
وأهـلوه عـاشـوا قـادة الـرّحـمـاء
وفى الـصـوم تـذكـيـر الميـاسـيـر بالـطّوى
ليـسـخـوا بـفـضـل المال لـلـفـقـراء
ولا يـعـلـنـون الـبـذل شـأن سـواهـم
فـإعـلانـه لـلـنـاس لـؤم ريـاء

في المطار...

((زار الشاعر عبد الحميد الديب مطار ألماظة عام ١٩٣٨ فكتب هذه القصيدة الطريفة يصف فيها الطائرات والمطار وصفا لطيفا فكها)) .

غـــــاد يصــــــفّق بـالـنّســـــيم ورائحُ ..
أهـي الـطّيــــــور ســـــــوانـحٌ وبـوارحُ
تحــــيـــــا حـــيــــاة .. لامنّيـــــة بعـــدهـا ..
كـم مـــــــات عنهـــــا صــــائـدٌ أو ذابـح
تـنـســـــاب فى الأفـق الملبّـــد مـــثـلمـــا
تـنـســـــابُ رقْـطٌ فـى الـرغـــــام لـوافـحُ
ولـدى الأصـــــيـل زوارق مـن فـــــضّـــة
ومــــحــــيـطـهـــــا ذهبٌ جـلـيٌّ واضـحُ
جـــيـــاشـــــةٌ فى طيــرهـا وهبـــوطهـــا
فـلهــــا فــــؤادٌ عـــاشـقٌ وجـــوانـحُ
إن يـدْنُ منهــــا الـنَّـسْـــر عــــاجله الـرّدى
لـم يـنـجـــــه أظفــــوره المتـــــواقـح ..
طيــــــرٌ بـلا ريش تـرى وحـــــــواصـلٍ
لا نـائـحٌ فـى ســـــربـهــــا أو صـــــادح
هى مــــعـــجـــزاتٌ أين بْـعــدُ نبـيــهـــا؟
بل أيـن «مـــوســـاها» الـقـــويّ و«صـــالحُ»؟

* * *

((ألماظة)) وكـر لـهـا فى خـفـضـة
هـو للـجـبـال ولـلـسـمـاء الناطحُ
الطـائـرات بهـا المنايا جُـمّـعتْ
ضـاق الـغـزاة بـهـا وعـىّ الـفـاتحُ
لـلأرض منهـا مـسـتـقـرٌ بـينـمـا
هى لـلـسـمـاء مـعـارجٌ ومـفـاتح
فـلـو انّ فـرعـونـاً رآهـا مـادعـا
((هـامـان)) يبنى صـرحـه فـيطارحُ
ربّانهـا للجـو قـهّـار ... ومـا
يـزهى بـه كِـبْـرا .. ولا يـتـبـاجـحُ
من عـاش فى هـذا الـوجـود ولـم يطر
فـحـيـاتـه خـورٌ وخـوفٌ فـاضـح
فـالجـيـل .. طيـارٌ .. وغـواصٌ .. ومـنٍ
يـطـلـبْ سـوى هـذا فـعـمـرٌ نـازحُ
ومـن اسـتـقـلّ الطـائراتِ يـجـد بـهـا
عـزمـا لـه فى الـسّـعْـى خطوٌ نـاجـحُ
ذكـرى ابن فـرنـاس تـعـيـد لـقـومـه
حـدبا عـلى الطـيـران لايـتـسـانـح

زيارة الهرم ...

((كتب شاعر البؤس هذه القصيدة فى أيامه الأخيرة))

طلعتُ مع الشَّمس عند الهرمْ
يرفّ علىّ أريج النّسيم
وتنفحنى الوْرق حلْوَ النّغَمْ
أحيّى ملوك العلا والخلود

* * *

صعدتُ هبطتُ بهذا البناء
كأنِّى أجوب بروَج السّماءْ
دلفْتُ إلِى جوفه المستضاء
كأنّىَ أجلو غموض القضاء
أحيىٍ ملوك العلا والخلود

* * *

هنا دولةٌ وهنا صوْلجانْ
هنا عرشُ فرعون بانى الزّمانْ
وموكبه الفخم والمهرجانْ
هنا الَمْلك فى أمّة لاتُدانْ
أحيى ملوك العلا وَالخلود

* * *

أرى كاهناً فى خشوع الصَّلاة
أرى ملكا طائراً فى عُلاه
وقائد مصر يُذلّ الغزاة
يخّرقهم قادراً فى لظاه
أحيى ملوك العلا والخلود

* * *

«نفرتيت» والخرّد الغانيات
يطفَنْ بها فى هوى العاشقات
ويرقصْنَ فى خفَر شادياتْ
وباسْم مليك العلا هاتفَات
أحيّى ملوك العلا والخلود

الفلاح البائس

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ فى عنفوان الفساد السياسى الذى كان سائدا فى تلك الحقبة بمناسبة شكوى النواب إلى وزير المالية وقتئذ لجوع الفلاح وبؤسه .. فكانت هذه الخواطر التى تفيض أسى وسخطا)) .

علـى أطـلالهـــــا سكبــــوا ونـاحـــــوا
وبعـــــد خـــرابـهـــا لـطمـــوا وصـــاحـــوا
وكـــــانـت فـى الـغـنـى جـنـات «عـــدْن»
بـهـــا للـخـيـــر أنـهـــارٌ وســـاحُ
فـــأصـــبـحِ دوحـــهـــا أوكـــار بـومٍ
وبـات أجـــاجـــهـــا مـــاءٌ قـــراحُ
أذلَّ الـرِّيـفَ جـــوعٌ وابـتـــئـــاسٌ
كـــأنّ هلاكـــه قـــدرٌ مُـــبـــاحُ
وكـــــان الـرِّيـف دور غـنـى وعـــــزٍ
وأهـل الـرِّيـف أمـــجـــاد ســـمـــاحُ
عـلى الـنـواب كـــان مـــلام مـــصـــر
فـــهـم لـشـــقـــاء أمـــتـــهـمْ أبـاحـــوا
ألـم تخـتـــرهُم ســـفـــراءَ عنهـــا ...
ألـم يـشـــمـلهـمُ منـهـــا جـنـاحُ
قـــد اســـتـجـدوْا نـيـــابـتـــهـــا فلمّـــا
أجـــابـت ، صـــوتـهـم عـنهـــا أشـــاحـــوا

ولو رحموا كرامتها وخلّوا
كراسيهم أراحوا واستراحوا
أترضيهم مجاعتنا وفينا
لكل الأرض رفد وامتياح
معاذ النيل أن نغدو خماصا
وقد أكل البوادى واستراحوا

* * *

إذا النواب والحكام جادوا
بربع مرتّباتهمو أراحوا
ولم يشْك الطوى أحد بمصرٍ
ولم تظهر بعيشتنا جراحُ
شكوتم للوزير شقاء قومٍ
لهم فى اليسر مغدًّى أو مراحُ
لئن قُتلوا ضحايا الجوع يوماً
فمن تفريطكم كان السّلاحُ
على الأخلاق فى مصر عفاءٌ
فما لظلامها أبداً صباحُ
إذا لم تصلحِ الحكّام فينا
فما يرجى لنا أبداً صلاحُ ! .....

ساعة فى الأوقاف ...

((زار الديب وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ فكتب هذه القصيدة يصف ما رآه من مناظر وغرائب))

رفاتٌ عششتْ فيه الطّيورُ
بها ولغ الموظف والكبير
فتات موائد وغثاء مال
وأكلاء بها بَقرٌ يخورُ
هبطتُ بها لأضحك بعض يومى
فأبكانى المبشّر والنّذير
رأيتُ شبابها أقوى وهدّتْ
فتّوته الأصائلُ والبكور
ومشيخة يدّب الموت فيها
من الأوقاف ضمّتها قصور
فكم من مكتب قبعتْ عليه
من الأشياخ عميانٌ وعُور
فهذا ظهزه قوسٌ ينادى
أصمّ ، وصوته أبدا جهير
وثان لا يُردّ له قرارٌ
وفىّ أثوابه رجلٌ طرير

إلى الإنجليز...

سجنتمْ بلاد النّيل لم نلْقَ مُنجدا
يقيها من البأساء واليومَ تطلقُ
ونحن بني فرعون للحرب أمّةٌ
إذا ما دعا داعٍ إليها تصفّق
إذا دُولٌ طارتْ إليها سريعةً
فأضعفنا منها أشدُّ وأسْبَقُ
ونحن محيطٌ والخلائق فُلكه
فمن ضلّ منها شاطئ الحقّ يغرقُ
جنود من الفولاذ أقوى صلابةً
إذا أطبقوا بالخصم فالموت مطبقُ
لئن خلتمو عمق السياسة نافعا
فإنّ قوى الإيمان بالحرب أعمقُ
وإن نلتمو بالكتب عهدا وموثقا
فإن عهودَ السّيف أوفى وأصدقُ
دعوا السّلم أنتم قاتلوه وإنّما
ضعفتم فقلتمْ نحن للسلم نعشقُ

إلى قوات الاحتلال الإنجليزى

كما شئتم فما نخشى انتقاما
خلقنا للأسى صُبُراً كراما
نفى عنّا المخاوف أنّ فينا
عزائم تصرع الموت الزؤاما
ولو مات امرؤ منّا شهيدا
لصارعكم رفاتا أو عظاما
وما نرجو نعيمكمو سلاما
وما نخشى جحيمكمو خصاما
وأيقاظاً تراهم فى كفاح
وتلقى غيرهمْ أبداً نياماً
أناسٌ هم ملائكة وجنٌ
بنوا فوق السِّماك لهم مقاما
قبيلٌ أحمر الوثبات قاس
على الظُّلاَّم يصرعهم ظلاماً
إذا لم تحْس كأسهمو نفوسٌ
سقوها بعد ذلّتها الحماما
وكم مستهتر آوى إليهمْ
فما زالوا به حتّى استقاما

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة التى تفيض ثورة وسخطا عام ١٩٣٨ .

نُقلّم ضابطا منّا كيادا
وكل بلادنا كرمت مقاما
فإن حُبس الغضنفر فى محيل
يجيع الناس لم يعدم طعاماً
نقلتمْ .. أو فصلتمْ .. أو قتلتمْ
فما نرجو العدالة فى القدامى
إذا حاق اضطهادكمُ أنفْنا
ولم نسألكمو أبدا إلامَا ؟ ..
يمّر بنا العذاب ليوم نصر
تبلغنا به الدنيا المراما
تَنافسْنا ثباتاً واحتمالاً
فأدركنا المنى عاما فعاما
وها هو يومنا وافى وولّتْ
عهود الظلم وانقشعت غماما

قتلتم الناس جوعا ...

يا خـــائفى الحــرب ، مـــاذا تحـــذرون بـهـــا
وأنــتــمْ دونِ هــول الحــــــرب أمــــــــواتُ
قـــتلتمُ النّاس جـــوعـــاً من تـهـــالككُم
على الثّــراء ، فـــلاعـــشـــتمْ ولا مـــاتـوا
أنتمْ عـــبـــيـــد الـغنى والحــرب كـــافلةٌ
أن يـُعـــمَـــر الأرض قـــوّامـــون ســـادات
كم ذا أكلـتمْ على حـــرمـــاننـا ذهـبـــاً
والـيـــوم تُـغــــوزكـمْ فى الحـــرب أقـــواتُ
لـولا الأشـــحّـــة فى الـدّنـيـــا لما رويتْ
بـهـــا الظُّبى وغـــدا للســيف إصـــلاتُ
قـــالـوا ســـلامٌ فـــقـلـنا ضـلّ رأيـكـمُ
الأرض فـــيـــهـــا ثـعـــابينٌ وحـــيّـــات
أعـــاد طوفـــان نوح طـهـــرها غـــرقـــا
والـيـــوم طـوفـــانـهـــا نـارٌ وغـــارات
إن كـــان للبـــعث أشـــراطٌ مـــقـــدّرةٌ
فـــمـــالهـــا فى هدوء الـسّلم مـيـــقـــات
هى الـقـــيـــامـــة من يـحـــيـا بصـــرعـتـهـــا
نمـت بـه الأرض سـكّـانٌ وأبـيـــــــــــــات

الجهاد ...

اليوم يقوى فى الحياة أساسى
ويطيب من فيض المدامع كاسى
لا أرغب الدنيا ولا أخشى الردَّى
وتعيش يا وطنى العزيز وناسى
والموت حتم فلأمت مستشهدا
وأقابل الإعدام .. بالإيناسِ
ماذا وراء العمر إذ أحيا بهَ
هملاً بغير قضيّة وقياس
أملى وراء الشمس إن وهنتْ به
نفسى فما فى ميتتى من باسِ
ردوا علىّ قصائدى ومواهبى
إن لم يزلزلْ أرضَ مصر حماسى
إن لم أكن فوق «المهلهل» عزمة(*)
وثّابةً تقضى على «جساس»
فى هدأة البركان خَوْفُ زلازل ..
كالبعث توقظ ساكن الأرماس

(*) إشارة إلى حكاية المهلهل وجساس من الأقاصيص الشعبية .

فضائح التموين ...

فى غابة الوحش ثارتْ
عواصفٌ من جهنّمْ
الأرضُ منها استجارتْ
والصّخر منها تكلّمْ
وما شدا الطير فيها
إلا النّعيب المُنغّم
قال الوحوش «الذئب»
مُرِّ العواء : تقدّمْ
فالحاكم اليوم ليْثٌ
وصاحب اللّيث «مكرمْ»
كم قبْل حكمكَ شمْنا
فيك المسيح بنِ مريم
يا مُستغاث جياعٍ
أكلتَ شعبك فارحمْ

إلى الحرب ...

هاتي السّلاح فإنّ الحرب بالباب
وحطّمي كل أقداحي وأكوابي
ردّي عليّ من الأشعار ما فرغت
من الظبي والوغى والظّفر والنّاب

* * *

يا حاكمين بمصر يوم محنتها
ماذا ادّخرتم لها في حظّها الكابي ؟
كنانة الله لكن لا سهام بها
ياويلها من أذى أهل وأحباب
لو ادّخرتم كراماً بعض مالكمو
لقوّة الجيش أمسى جدّ غلاّب
أئن دعا الحرب كنتم كالنعام به
وهمّكم في جَنَى غنْم وأسلاب ؟
وفي السّلام رؤوس تحكمون بنا
وفي الحروب نراكم محضّ أذناب
قد خنتمو الشعب في أيام حكمكم
فلا يرى الخصم منه أيّ إرهاب
كم شدتم معهداً للعلم بل هرماً

هلاَّ بنيتم لحربٍ شبه «كُتّاب» ؟ ..

* * *

دقت طبول الوغى والجند قد شخصتْ
إلى المنايا أسودا غير هُيّاب
والجوّ سُدّ بسحْب من مثارهم
في منظر من لباس الحَرب خلاّب
كلٌّ تعاوده الذكرى فيصرعها
وليس فى نصره يوما بمرتاب
وفى الملاحم قدِّرْ كلّ مفزعة
فما يفيدك تهويلى وإطنابى ؟
ونحن لاهون فى حفْل وفى طَرب
وفى مفاخر أحساب وألقابَ
نحن الضّحايا لرجعيِّين مالهم
فى عزّة العيش من حظٍّ وآداب
تذبذبوا فى الأمانى ما نرى بهم
مهما ادّعوا واستطالوا غير كذّاب

فلسطين الدماء ...

أقتلتهم بالحسن أم قتلوك ؟
الشّمس أمّكِ والهلالُ أبوكَ
دار النّبوة والعَروبة والهدىَ
خفروا ذمامك بالدم المسفوك
جهلوا عليك ومادروك فأمعنوا
فى قتل قومك .. ليتهم رحموك

* * *

تيهى «فلسطين الدماء» على الورى
إن الملائك والملوك بنوك
فلربَّ ظبىٍ من بنيك مُهفهف
بجماله وحسامه يفديك
نامت عيون النّاس إلا عينهَ
حتى يصيب الثأر من راميك
ولربَّ شيخٍ من بنيك محطّمٍ
بهر الوجود صِباً .. لكى يحميكَ

(*) قيلت أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين عام ١٩٤٠ .

خلّوا الكتابة للمدافع والظبى؟!

حيِّ الربيع غضارة وعبيرا
واخبُ الشّباب توثّباً ونضيرا
واختــرْ لدى سكنى البناء جديده
إنّ القديم به غدا مدحورا
والناس والأيّام ليست دولةً
بل تستحيل تداولا وعصورا
كن أنت إسرافيل دون قيامة
واجعل من الهرم المخلَّد صوراً
واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاصبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسّجن أصبح للبلاد سعيرا
لا يزدهيك من القصور رواؤها
فالذلّ صيرها بمصر قبورا
من هؤلاء الغاصبين وصحبهم
جاهد ليُمحَوْا أو تموت فخورا
والشّعب مُصغٍ إن صرخت إلى الوغى
لبىّ النداء غضافرا وصقورا
خلّوا الكتابة للمدافع والظّبى

فلقد كتبتمْ باليراع كثيرا
لاتبدعوا سحر المعاول حقبة
معشار إبداع الحروب دهورا

* * *

أنا شاعر ما كنت فيكمْ شاعراً
إن لم أكن أسدا بمصر هصورا
خلّوا المفاخر للرّجولة وحدها
تُحيى الرجولة مبدأ ونصيرا
إنّا لنرقب للكنانة دولةً
ملء البسيطة قوةً وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويزود عنها غدوة وبكورا

تعست أماني الحكم !..

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ ساخطا فيها على سوء الحكم والفساد السياسى الذى كان مسيطرا على مصر فى تلك الحقبة))

لا ضـــــاربٌ منكم ولا مـــــضـــــروبُ
أنتمْ جـــمـــيـــعـــا مـــعـــشـــرٌ مـــغلوبُ
وإذا الـــعـــصـــىّ غـــــدت ســــلاح حكومـــة
فـــمن الأعـــابد شـــعـــبـــهـــا المنكوبُ
كل الـشــعــــوب ســـلاحـــهـــا من مـــعـــدن
وســــلاح مـــصـــر حـــجـــارة أو طـــوب
والـشـــــاء إن زكـت الـعـــــداوة بيـنـهـــــا
عـــوت الثّـــعـــالـب فـــرحـــة «والذِّيـب»
يـا خـــــائبين تـــذكّــــــــروا آلامـــكـم
إن الـعـــــدوّ من البـــــلاد قـــريـب
تـعـــــست أمــــانى الحكم فـــهى مـــذلّةٌ
ومطامعٌ منهــــا الإله غـــضـــوب
مـــســـتـــوزرون ومـــابكم من صـــالحٍ
لـبـــــلاده بـل مـــــاكـــرٌ ومـــريـبُ
والحـكم إن يـقـــصـــد به أخـــلاقـــه
فـــسناؤه فـــجـــر بمصـــر كـــذوب
خلُّوا الحكومـــة واكـــســـبـــوا أرزاقكم

من غيرها ، ومن المآثم توبوا
أبكل يوم معركٌ وتظاهرٌ
والخصم يرسل سهمه فيصيب

* * *

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبةٌ
ما فى جهادكُم لمصر نصيب
حتما سيأخذكمْ على أعناقكم
يومٌ بأخذ الظّالمين رهيب
يوم الشّباب الطامحين وإنه
كغد لمن يرجو سناه قريب

وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ...

اليــــوم تســـمـــعنا الســـمـــاء لأنّـه
نــطــقٌ بــلا كــلــم ولا أصـــــــــوات
هــذا أوان دم يـراق وفَـــــــرحـــــةَ
تولـى الشــهــيـد مـضـاعـف الرّحــمــات
تـتـكـلّم الأرواح بـيـن مـــــعـــــامعٍ
عـــقـــدتْ بـأشـــرف أنـفـس وذوات ..
المـوت عـنـدهـمُ حـــيـــاةٌ بـيـنَـمـــا
تـلـك الحــيـــاة مــبـــاءة الأمـــوات
لـم يُجْــدنا عـــهـــد الـكـلام وإن غـــدا
شـــدْوا يفـــيض بســـاحـــر النغــمـــات
فـــتـكـلّمـــوا نـغـم النّضـــال مـــجـلّـلا
بـدم الضــحـــايا صـــادقى العـــزمـــات
لاتـســمـــعـــوا إلاّ صـــراخ مـــقـــاتـل
ورنـين صـمـــصـــامٍ وقـــصـف قـنـاةً
ومـــجـــاهـد فى الـلـه يغْـــشـــاه الـرّدى
فـــيـــصـــيَح يـاوطـنى إلـيك حـــيـــاتى
إن الـشّـــبـــاب إذا المـشـــيـب تقـــاعـــدوا
هـم عـــــدّة الأوطـان فـى الأزمـــــات

* * *

وطني لوجهك هجرتي ومحبّتي
وإليك كل مواهبي وهباتي
أفدي رغامك بالحياة وبالمنى
حتى تعيش معزّز الجنبات
نحن الفداء لمصر تبقى حرةً
ونموت موت أعزة وأباة
اليوم رنّت في الكنانة صرخةٌ
للحق غطّتْ سابق الصرخات
اليوم إمَّا أن نعيش أعزَّةً
أو أن نموت أعزّة الأموات
هي ضجعةٌ روحي بها في جنة
ماذا يهمّ إذا فقدت حياتي؟!..

مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!

«قالها الشاعر فى غمرة الاتجاه الذى كان ينادى بأن الحرب العالمية الثانية ليس لمصر فيها ناقة ولا جمل»

لا "التشك" خصمى ولا "السّوديت" أعوانى
مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!
جُناتها التشْك والألمان فليقفوا
وجهًا لوجه وأقرانا لأقران
ميدانها واحدٌ والموقودون بها
يبغون أن تتعدى ألف ميدان
أعزز علينا إذا جد النفير لها
أن تقتضى من دمانا أى قربان

* * *

للإنجليز علينا ذمّةٌ عظمت
من أن تداس بتسويف ونسيان
لكنها عهد أكفاء سواسية
لا طاعة العبد فى ذلّ وخذلانٍ
قالوا معاهدة قلنا لهم كَذبٌ
وإفك مضطرب فى الشّر خوّان
هذا هو القيد إلاّ أنّه ذهَبٌ
والسّجن بين ربى جنّات عدنان

لو قــدرونا اســتــشــارونا بما اعــتــزمــوا

فى الحــرب والسّـلم عن حبٍ ووجــدان

لـكنهـم أبرمــوا دون اســتــشــارتنا

بيْـنـا يُـرجّــون منـا كـل إذعــان

أكلّمـا ظهــرت فى الكـون نـائبـةٌ

يُصــيـبنا من لظاهـا حــرقــة الجــانى

يـجنى ســوانا ونحـن الـغــارمــون لـه

هـذا هـو الـرأى والـعــدل البــريطانى

* * *

يا ســاســة «المنش» خلّوهـا مــســاومـةً

لاقــهــر ظلـم ولا إذعــان طغــيــان

أليس حــقّـاً لـنا أن نـقــتــضى ثمنا

عـن حــربنا جنـد ألمان وطلـيــان

لـن ندخـل الحــرب إلا بعــدَ عــهــدكم

أن تـرحلـوا الدهـر عن مــصــر وســودان ...

الحرب الحرب

((قيلت ونذر الحرب العالمية الثانية تلوح فى الأفق))

أيّها السّامرون فى الليل عودوا
شبت الحرب واستعد الجنودُ
أيّها اللاعبون يكفى ، سراعا
للوغى فوقكم ترفُّ البنودُ
يا شباباً تضوّع الكون عطرا
من شذاه لأنتَ بعْدُ الشهيدُ
ذاك عرس التراب كم زُفّ فيه
من أناس عيونهمْ والقدودُ
فى غد ينتهى الوجود ويخفى
ويرى البعث دونه والوعيدُ

* * *

أيّها العاطشون للدم يجرى
دونكم فانهلوا وروّوا وزيدوا
ياعداة السّلام كم من أذاكم
أخفرت ذمّةٌ وديست عهود
كل من مات أنتم قاتلوه
أنتمُ النّار فى الوغى والحديدُ
كل من فى الوجود هب من النوم

أخـــاً خـــائفـــاً وأنتم رقـــودُ
ذلـك الحـــزن والمـآتم تـتـــري
كم لـكم دونـهـــا هـنـاءٌ وعـــيـــدُ

* * *

أيهـــا الحـــاكـــمـــون فى النّاس مـــهـــلا
أنتم ســـادةٌ ونحن العـــبـــيـــد
إنّما الحـــرب للـشّـــعـــوب صـــراطٌ
فـــفناء مـــصـــيـــرها أو خلـودُ ..

إلى الجهاد ...

إلى الجهاد واملئوا الدّنيا دما
لا تتركوا أرضا بها ولا سما
لا عاش من يحيا ذليلا مرغما
وفيكم الفداء يا أسدَ الحمى

* * *

إلى السّجون أو نرى استقلالا
فالسّجن للأحرار جنّات النّعيمْ
ونفذوا إن شئتمو إعدامنا
فعيش الاستعباد فى نار الجحيمْ

* * *

خلوا الهدوء والهناءَ للضّعافْ
ولا تناموا إنّ فى الموت منامْ
براءة الأوطان من غرٍّ يخاف
إلى الحروبَ ... لا تحنّوا للسلام

* * *

ما الخلد إلا للضحايا فى النضالْ
بناهُ رى من نفوس ودماء
يا للشّباب للصراع والقتالْ
فصرخة الأوطان تدعو للفداء

* * *

إلى الجهاد واستردوا ما اندثرْ
من مُلْك فرعون العظيم القاهر
ولتجمعوا الشمس لمصرٍ والقمرْ
فى ليل مقدامٍ وصبحٍ ظافر

* * *

للدّهر طعنات وأنتمْ كفؤها
فعرّضوا لوقعها حرَّ الصدور
وردّدوا إنّا لها ... إنّا لها
ولتحْيَ مصر حرة طول الدّهور

الخونة ...

« تأثر الشاعر للصورة الذليلة التى كان يرتضيها بعض الجواسيس لأنفسهم فى سبيل رفاهية عيشهم إبان الاحتلال الانجليزى وراعه أن هذه الطائفة لا تتورع عن إهدار دماء الوطنيين وإزهاق أرواحهم فسجل هذه الخواطر الثائرة فى الأبيات التالية:»

بين اللآلئ أحـــجـــار لـهـــا شـــانُ
كـــأنّما هى يـاقـــوتٌ ومَـــرجـــانُ
وبـين نجم الـرّوابـى نـاضـــــــرٌ ألـقٌ
لـكنّه حـــسـكٌ راو وســـعـــدان
كـــدأبك الـدّهـر من قَـــوم أبالســـة
مـــا فـــيـهم لمجـــالى الخـــيـــر إنســـان
صلّوا وصـــامـــوا وهمْ فـــسّـــاق أمـتّــهمْ
وكـلّهمْ ســـاقـط الآمـــال خـــوّان
كـم أهـدروا من دم حـــرٍ وكم ســـجـنوا
وكـم أذلّ بـــهـم قـــــومٌ وأوطـــان
ثعـــالبٌ وذئابٌ فـى حـــقـــيـــقـــتــهمْ
وفـى تـنـكـرهـمْ شـــاءٌ وحـــمـــلان
حـــربٌ عـلى الشّـعب فى أيّام مـــحنتـــه
وهـم لأعـــدائـه جـنـدٌ وأعـــوان
يـندسٌ واحـــدهمْ فى أىّ مـــجـــتـــمـع
كـــأنّـه بـيـنـه لـلـذلّ عـنـوانُ

تملقٌ ورياءٌ في مُصانعَة
يلين في كلّ لمس وهو ثعبانَ
الخائنون أذلّ العيشُ أنفسهمْ
لا كان عيشهم فينا ولا كانوا

أنا الشعب ...

عرفت اليوم أنَّا قادرونا
وأنّا الصابرون الصادقونا
فأين كتائب الأحزاب منّا
وأين الحاقدون المرجفونا ؟
يقوّم واحدٌ منّا بألف
فقد ملك الإرادة واليقيناً
ومن يُطع الإله حباه نصراً
وأعلى كعبه دنيا ودينا
صبغنا الدّهر مصريّاً فصنَّا
من الأحداث مجد الأقدمينا
وإن شئنا الزّمان غدا سلاماً
وإن شئنا غدا حرباً زؤاما
ستبلغ مصر فى الدنيا مناها
متى كنّا بمصر الحاكمينا
هنالك تسبق الدّنيا جميعا
جيوش لن تذلَّ ولن تهونا
وتغزو أو ترى آباء صدق
بما رجعته قد قرّوا عيوناً
ولم نخش المقاصل فى مناها
ولم نخش المعاقل والسّجونا

إلى السادة الوزراء !..

سمعتُم رعوداً ألم تسمعوا ؟
رأيتُم بروُقاً ألم تجزعوا ؟
أما تستحون لهذا المجون
.. أليس من الشّيب ما يردعُ؟
أما تستحون لهذا الخراب
وقد هلك الطفل والمرضع ؟
فتشتُ السّياسة والسائسين
فما الكمو بينهمْ موضعُ !
فهذا هو الهول يوم الوعيد
وكلكُم راح يستمتعُ !
أفى ساحة الكون بين الدماء
يقام المصيف أو المربعُ ؟
أفى مأتم قام عرس لمصر
تقرّ به العين والمسمع ؟
رئيس الوزارة فوق السفين
يغنى بليلاه أو يسمعُ
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرعُ ..

* * *

دعـــــوا الحكم لســـــتمْ كـــــفـــاءً لـه

ومـــــــا فـى هــداكـم لـنـا مـطـمـع ؟

لـكُـمْ أوجـــــــه كـلّـهـــــــا أعـينٌ

ورجــــــلان لـلـسّـــــــعى لا أربـعُ

وأيـاّمكـمْ قـــــســـمَـــةٌ للحــيـــاة

بـهـــا مــــايســـرّ ومـــا يفــجـعُ

ســــــقـــوط الـوزيـر إذا لـم يـكـنٍ

إلـيـــــه لأوطـانـه مــــفـــــزع

ومــــن ذا الــــوزيـــر وتــاج الــــوزيـــر

ولـيــــــا يـضــــــرّ ولايـنـفـعُ ؟

هبـــــوا أنـكـم أعــــــدل الـكـائـنـات

فــمـــا عـــدل مـــســتـضـعف يصــفعُ ؟!..

حكومة الزنج

برامكةٌ وليس لهم رشيدُ
وأقيالٌ وكلُّهمُ عبيدُ
مدحتهمُ فما شرفوا بشعرى
لخسّتهمْ ، وما شرف القصيد
وصغتُ هجاءهم فإذا الأهاجي
على الأفواه لحنٌ أو نشيدُ
لقد حكموا وما كانوا عدولا
فعادوا كلَّ ذى شرف وعُودوا
فما لسوالف منهمْ قديم
وما لخوالف منهمْ جديد
وأسفل صاعد للمجد قومٌ
على حُرماتهمْ كان الصعود
لكيما يحكموا ركعوا هواناً
وطاب لهم من الذلّ السّجود
فيابئس الحكومة والمعالى
إذا ارتفعت إلى الحكم العبيد

* * *

(*) نقد لاذع لنظام الحكم فى مصر ، ولسياسة الملك فاروق حينما ركز سلطة القصر ورياسة الوزارة فى يد شقيقين تقاسما حكم مصر .

أينعم من وفــــيـــــر المال قــــومٌ
لأجل ثــرائهــمْ ذابت كـــــبـــــود
ولـون ســــيــــادة الـدّنيـــا إباءٌ
فـــإن يُفــقــدْ فــتــربتـهـــا الخـدود
وتعـــســـا لـلعـــرين فــمــذ تعـــالت
بـه الجـــرذان جـــافــتـــه الأســـود
فـــــــشـلْـنـا والمـــواهـــب مـــن أُنـاس
غـــبـــــاؤهُم له حـظ رشــــيــــد
فـــــأيـقـــاظا دلـفْـنا فى دجُـــاهمْ
وقــضّـــوا صـــبـــحنا وهُم رقـــود

* * *

لـقــــــد رجّــــعــتُ آهـاتــى طوالاً
ورجّـــعــهـــا مـــعـى الجَم الـعـــديد
ومـــا نـدرى ، ومـــايـدرون يـومـــا
لـعـــمــر الـدهـر ، مَنْ منا الـسّـعـــيـد

غضبة فرعون ...

« كتبها الديب عام ١٩٤٠ فى أثناء الحرب العالمية الثانية ثائرا على الانجليز لتحكمهم فى شئون مصر الداخلية» .

ماذا استخَفك حتى جُستَ آجامى
لا راهباً غضبتى أو خائفاً جامى
رزءُ السّماحة أن تُعطى لجاحدها
وأن يجود حياها ربَع إجرام
حطمتُه صولجاناً ليس يعصمنى
لؤم الضعاف طغوا من فيض إكرام
أشبعتُهم فأجاعوا من خلائقهم
ما لا يُهذّب فى جوع وإطعام
قل للخفافيش إن الشّمس طالعة
وساحة النور لم تُخلق لهوّام
ما للثعالب ضلّت من مطاردها
جحورها ، واستباحت غيل ضرغام
أمام ذئب فلاة قد جرت فزعاً
وفى حمى الليّث تبدى بأس هجام
تلك الثعالب يستعلى بها ملأٌ
هم عصبة الجُبن فى شعبى وأقوامى
أأمّة عجزت عن صون بيضتها

ومـــالهـا عـــصـــمـــةٌ من جـــرحـــهـــا الـدّامى

تُـعـلـى وتـخـــــفض مـن حـكّـام مملـكـتى

كــــــلاًّ ، فـلـيس رضــــــاع الـذلّ حـكـامى

لا تحـســـبــوا أن فـــوق الـتّـــاج مُـلككمـــو

ألبـــأس بـأسىَ ، والصّــمـــصــام صــمــصـامى

بنيت مـــــجــــدىَ من عـــــز ومن شـــــرف

عـلـى أســــــاسينْ ، إيمــانـى وَإقــــــدامى

* * *

هى القـــيــــامـــة إن مـــسّـت مطامـــعكم

عُـــــلا ســـريرى ورمـــتـمْ فـــيـــه إرغـــامى

لـى من مــــعـــونة ربِّى جنـد مـــقـــتـــدر

وفـــوق أعــــلامكمْ أضـــغــــاث أحــلامٍ

ذلّ الإســـــــار عـلـيكم قـــيـــــده ذُبـحـتْ

بـه مــــــهـــــــابتكم ، ياشــــعـب أغـنام

يـا كـــــاذبين عـلى الـدنيـــا بـحـــربكمـــو

ونـصـــــــركم بـينهــــا تـزويرُ أرقـــــــام

لو شـــئت ، أوشـــاء شــعـــبى كـنتـمُ أُكــــلا

لحـــــوت نيلـى ، وأحـــــجـــارا لأهـرامى

وصف معركة بحرية ...

سَرتْ بين مَرهُوبيْن ليل مُنافق
وبحر مدى الدنيا خفيّ الطرائق
كتائب فُلك جُنِّدتْ لكريهة
وحرب بها تبّيَض سود المفارقَ
إذا مارست كانت جبال مرادة
وإن أقلَعتْ كانت قلاع تسابق
ويعصمها من بغتة الخطب فتيةٌ
رِضَاعُ الوغى لم يعبأوا أيّ طارق
مُرهّفةٌ أرواحهم وجسومهم
مُضَمّخَة أثوابهمْ بالمعابق
وهم بين دنيا البحر أشباه موجه
كُماةُ نضال دائم متلاحق
وهم في مُفاداة السفين وصونه
عطاشى إلى موتٍ لدي الحرب شائق

* * *

تصدّتْ لهذا الفُلك رقطاءُ خبّأتْ
تجاعيدها من كَيد رام وراشق
فألقت عليه مسعراً من جحيمها
أنابيل نارٍ بين مُردٍ وماحق

وزكّت نســـور الجـــو ، قـــامت بغــارة
رمـــايتــهـــا الشــعــواء تحـصـد مـابقىً
فـــأصْلَتْ ، وأصــلاها الســّفين جـهنّمــاً
لظاهـا قـــضــــاءٌ لم يجـــد أى عـــائق
بـوارج تُـفـنـى الطـائرات بـحــــالـق
وأخـــرى تـقـــد الغــائصــات بســاحقٍ
ودوّتْ بـأرجـــاء الجـــحـــيم صــواعقٌ
لهـــا أنصت الجـــبــارُ إنصـــات حـــانق
تحــدٍّ لماء البــحـــر صــخـــرية اللظى
به مُــهـــدرٌ فى العـــقـل فــهـم الحـقـــائق
قـــد اجـــتـــمـع الضـدّان فلتــســقُـط النُّهى
فـــقـــد تـهلك الدّنيـــا بـبــعض الخـــوارق
ورجـــعـت الأرواح صــيــحـــات هالــعٍ
من الموت مـــذهـول ، وصــرخـــات غـــارقٍ
وبـارجـــة قـــاست بمحنة حـــينهــــا
مـــقـــاســـاة تـوّاق لدنيـــاه عـــاشـق
تغُـــوص وتطـفُـــو كـــالســـّراج إذا خـــبـــا
وهـلّ بـأرمـــــاق الـذبيـح المـفـــــارق
وكـم دارعـــات هـدهَـد الموت عـــابثـــا
بقَــيّـــــَات ألـواحٍ لـهـــاَ ونمـارِقِ

* * *

بدا الصبح ليلا بالمحيط وقد علا
إلى النّجم وهاجُ اللظى والحرائق
ولم يقض غير «القُبّطان» وقد نجا
من الموت ملاّحون فوق الزّوارق
كذلك أبطال البحار وفاؤهم
لفلكهمو كالسَّلسل المتدافق
تبدَّى على ظهر السفينة واقفا
مُحاطاً بأعلام لها وبيارق
وهامته فوق المواكب رِفعةً
ومن وجهه الوضّاح فيضُ مشارق
فغاص وإيّاها قريراً كأنّما
هما توأمان فى رُفاتٍ مُلاصق

* * *

وما مر هذا الليل إلا على دمٍ
سُلاف لحى الحوت حناءُ نافقٍ
قد احترّقت فيه النّجومُ فمابدا
بها من دخان أو لظى أى بارق
ولم يبق فى التّيارَ إلاّ ثمالةٌ
بقايا سفين أو بقايا خلائق
إذا لم تكن حرب البَحار قيامةً
فأشْراطُها منها عقيدة واثق

بين تحتمس وفاروق

دخل الشاعر إلى غرفة زعيم حزب مصر الفتاة يبثه شكواه فوجد تمثال تحتمس الثالث موضوعا أمامه وفوق رأسه صورة الملك فاروق وأمامه صورة زيتية حول الفلاحين الذين كرس لهم حياته وجهوده فأهاجه هذا المنظر فقال :

تذكـرت الفداء فـعفت نفـسى — وعاودنى الهوى فذكرت بأسى
وفـاضت بى هموم مـترعـات — فــلا حـزن يفــيــد ولا تأسى
قـتلت أبا الخليقـة؟ أى وربى! — فعـادانى الورى من كل جنس
وقـالوا سـادرٌ ورضـيع كـأس — ومـا قـالـوا سـوى إفك ودس
وفلســفــة ركنت إلى هداها — فكان بعطفـها قـيدى وحبـسى
أقـمتم مـأتمى فى بكر عمـرى — فهـلا قد أقـمتم يوم عـرسى؟
دخلت إلى الرئيس أبث حزنى — وأطلعــه علـى آلام نفــسى
دخلت بمعـقل يحـوى ملوكـا — تماثيل ازدهت فـى شبـه حس
تحـتمس فـى شبـاب عبقـرى — تنزه جســمـه عن كل رجس
أمـام عـيـون أحــمـد يجـتليـه — ويسمع مـنه ما يفضى بـهمس
وينفث فى زعـيم الجيل روحـا — إلى الغزوات يصبحها ويمسى
تذكـرت العـزيز بيـوم حـرب — تقــاد له الملوك بعين شــمس
ومصـر بعهـده ملكت شعـوبا — فـأين اليـوم من ملكوت أمس
هنا أبـصــرت إيمانا وحــسنا — ورونق جنة وضــيــاء شـمس
لفــاروق وأى مليك شــعب — تغلـغل حــبــه فى كـل نفس

(*) يقصد بالرئيس أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، ونشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٩

على رأس الرئيس بدا بسيما   وصـــــورتـه تشـع بكـل أنس
ودون الصـولجان رأيـت قومـا   لهم سـيمـاء من سكنوا برمس
ينـادون الرئيـس نداء شـــاك   بمنجـله يـدلل أو بـفـــأس
وها هم قـد رأوه لهـم ظهـيرا   عن الفـلاح يشرب كل كـأس
سـقى أعطافـهـم أمل نضـيـر   فما شـعروا على الجلى بيأس!

حطم السجن

أقدم فقد يئس المسجون واضطربا   وحطم السجن لاتعدل به رهبا
رو الكنانة ، إما بالندى غدقا   أو من دماء الضحايا روها حربا
جعنا وذقنا الأسى من حكم مشيخة   بكدنا يأكلون الخز والذهبا
وإن شكونا يزيدوا عيشنا حرقا   كالنار إن تخب زادوا فوقها حطبا
واليوم جئت فكفكف دمعنا كرما   وحطم الشيب لا لوما ولاعتبا
أتى زمانك فلتملك على شغف   أزمّة الشعب عهد الشيب قد ذهبا
قد الجنود إلى الميدان مغتبطا   وكن على مصر فى بأسائها حدبا
وهبت روحك للأوطان تنصرها   فأنت أكرم من زكى ومن وهبا
يا ابن الحسين هى الدنيا ففز بطلا   فيها ولاتك مهما أرهقت سلبا
والبس لها كل يوم درع غالبها   مقذفا لا مسوحا يؤثر الهربا
مصر الفتاة وقد أعليت حجتها   بنيتها من قوى لاتعرف النصبا
خذ الحكومة إن قسرا وإن قدرا   فالحكم يعشق من قاسى ومن غلبا

(*) موجهة إلى أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة فى الفترة التى كان فيها الديب شاعر الحزب (١٩٣٨)

القوة حياة الشعوب

أهم كـــامن الــدنيـــــا إذا كـنت تـضـــرب
هــو اليـــــأس لايخـــبــــــو ولا يـتــــذبـذب
وكـن أنت طـلق الـنار إن خـــاب مــــقــــتـــــلا
تـنـل مـن هـنـاء الـعـــــيـش مــــــا تـتـطـلـب
رأيـنـا الشـــعــوب الغـــالبـــات وقـــد غـــدت
عـلـى الخـــصـم فـى الهـــيــجــــاء نـارا تلـهب
وكم مـن كـــمىّ فـى مــضـــارب ســـيـــفـــه
مـنايـا لـهـــــا الأعــــداء فى الحـــرب تـلـهـب
لقـــد دارت الأفـــلاك يـامـــصـــر فـــانـهــضـى
إلـى مــــــوقـف دامٍ بـه الـنـصـــــــر يـكـتـب
ثـقى بـالشـــبـــابِ الصـــابـريـن فـــإنـهـم
غـــيـــاثك إن شـامـــوا الـدنـيـئـــة يغـضــبـــوا
بـهم كـل مـــرهـوب العــــراك مُـــقـــذّف
وفـــى بـــرده لـــيــــث إذا ريـــع أغــــلـــب
وفــــيــهــم نســـور فى انقـــضـــاضـهـم الردى
لــهـم كـل يـوم طـيـــــــــــرة وتـوثــب
كـــذلك يـامــصـــر الحـــيـــاة شــجـــاعـــة
فـللبـــــأس فى الأقـــــوام ديـن ومـــذهـب

القسم الثاني : النثر

اعترافات الديب

لقد سجل عبد الحميد الديب مشاعره وعواطفه وأحلامه فى قصائده الشعرية التى تنبض بالحرارة والصدق والعاطفة ، وكان شعره سلسلة من الاعترافات ولكن الكثير من الأدباء يعتقد أن الديب لم يمارس كتابة النثر .. والحقيقة أن شاعر البؤس لم يكتب نثرا إلا فى فترات متقطعة في سنواته الأخيرة. وقد عثرت على بعض كتاباته النثرية التى كتبها ما بين عامى ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعنوان (خواطرى) وقد رسم الديب فى تلك الخواطر صورا طريفة لحياته سجل فيها مشاعره وأفكاره وتأملاته وأحلامه وذكرياته بصورة تفصح عن ذاته وتعكس مدى ما كان يعانيه من بؤس وألم وغبن. ولقد استمد شاعر البؤس تلك الخواطر من حياته الخاصة وتأملاته فى الأدب والحياة بلا مواربة ولانفاق ، بل حرر أسلوبه من كل القيود والأغلال مما أضفى على تلك الخواطر الصدق والعاطفة النابضة بالحرارة .

وإذا رجعنا إلى تعريف الكاتب الفرنسى بأن «الأسلوب هو الرجل نفسه» نجد أن أسلوب الديب بما يتسم به من إشراق البيان والرقة والوضوح والصدق والحرارة والشاعرية والعفوية يعد انعكاسا صادقا لطبيعته الشاعرية ونفسه الحساسة المرهفة . وبعد فهذه هى خواطر الديب التى تعكس صورا حزينة قاتمة لحياته البائسة المكدودة وألوانا من الغبن والافتئات لاقاها هذا العبقرى الموهوب البائس ، حتى صور لنا بعض اعترافاته التى استمدها من واقع حياته ، وصور بها لمحات من ليالى الصعلكة والتشرد !

لقب شاعر البؤس

أجمع المتحدثون عن الشعر والشعراء على أن يمنحونى لقب شاعر البؤس، وأن يتوجعوا لآهاتى وزفراتى فى شكواى الزمن وتبرمى بالناس .

وأؤكد لهؤلاء جميعا أن البؤس هو الصلة الروحية بين الأرض والسماء هو صلة قلب الشاعر بربه وكفى !

وليس من شك فى أن البائس فى الدنيا هو مرشد الوسط الذى يعيش فيه وهاديه ، وأخيراً هو الضحية والقربان للأحقاد والمفتريات !

والظاهرة البارزة فى حياة البائس هى الفقر إلى حد الفاقة وكم تمر ليالى الشتاء المهلكة عليه دون أن يجد ملجأ أو (كُناً) يتوارى فيه وتعصمه كبرياؤه أن يطرق أبواب

معارفه لينام أو يلتمس الدفء. وقد يطوى الليل والنهار جوعان حيران ، وكلما طرق بابا للكسب من طريق العمل والجهاد يرى دون هذا الباب ألف كلب مسعور تحول دون نيله أمنيته فيعود وقد ملئت نفسه حقدا على المجتمع ، وحسدا لأرباب النعم ، ويرى من الفضائل أن يعلن حقده وحسده وأن يسجله في قصيدة أو قصائد. والذى لا أدريه ولا يدريه الفلاسفة هو : لماذا يراد للشاعر هذا الوضع الذليل ؟ .. أوه ، لقد عرفت أخيرا شيئا كنت أجهله ذلك أن كثيرين من عشاق الشاعر الباكى الحزين يجاهرون بوجوب فقر الشاعر الذى نظم هذا الشعر حتى يخرج لهم ألوانا منه كلما طعنته المحنة طعنة قاتلة. ولعمرى إن هؤلاء أجهل الناس بنظم الشعر وتأليف القصيد ، ولو عرفوا لأدركوا أن الفقر يميت الموهبة ويقتل العبقرية وليكن حرمان الشاعر فى أن يعجز عن الاصطياف فى أوربا مثلا ! ..

أما أن يعجز عن الاصطياف في روض الفرج فهذا هو مبعث الحقد والتبرم بالناس !. وهل يستطيع أن يقول شعرا ولو فى الجوع؟.. إن الغرام وهو أرفع مظاهر النفس البشرية ينحدر أمام العوز والفقر والجوع ، وكيف يتناجى العاشقان وهما جائعان أو عاريان أو مسهدان؟..

ولماذا لايغنى الشاعر فيقول فى ألوان أخرى من القصيد الذهبي المرح؟.. الحق أن الناس يجهلون ، ولو أنهم امتحنوا بيوم من أيام الشاعر فى عيشته الخاصة لآثروا تعجل الموت! ..

يوم من أيام المحنة ...

طلع الصباح فهب الناس من مراقدهم ، ورقدت أنا ، إذ طويت الليل ساريا فى طرقات القاهرة لعجزى عن اللجوء إلى أحد الفنادق فلجأت إلى فندق الله (الجامع الأزهر) فى أول تكبيرة أهل بها ذلك المؤذن الفاتن الصوت على مئذنته التاريخية العجيبة. وماكدت أسلم عينى لهذا النوم المختلس حتى شعرت بيد تهزنى هزا فاستيقظت فزعا ورأيتنى وجها لوجه أمام من يدعونه (مخبر) ورأيت إلى جانبه شتيتا من الناس كلهم ترتسم على وجهه الآلام التى ترتسم على وجهى ، فنظمنى وإياهم فى سلك واحد ، وساقنا جميعا إلى قسم الشرطة .

أوه ! .. أين حذائى ؟ لقد تفقدته فلم أجده فاضطررت أن أسير مع إخوان الشقاء حافيا وتصور (أفندى) كامل البذلة يسير حافيا ؟ .. وإذ كنا فى بكرة اليوم انتظرنا حتى يستيقظ الضابط المنوب ليقوم بالتحرى عنا . وماهى إلا فترة حتى كمل وضح النهار ، وإذ ذاك لمحت حذائى الضائع فى رجل أحد المقبوض عليهم فاقتربت منه وقلت فى همس (حذائى ياصديقى!..) فتجهم لى وجاهر بأنه حذاؤه ، ولم يبال بوعيدى أن أتهمه بالسرقة وكان الضابط قد صحا وسمع الحوار الذى التهب أخيرا بينى وبين هذا اللص المتبجح فلفت نظره إلى تحقيق جريمة السرقة قبل كتابة (محاضر التحرى) فلم يستمع لقولى وظاهر اللص علىّ وقرظ انتعاله إياه ووبخ حفاى فثرت عليه ثورة أنستنى موقفى منه وموقفه منى ، وبعد فترة رأيتنى مجردا من كل ملابسى إلا قميصا غل يدى عن الحركة وجرهما إلى ظهرى . ذلك هو قميص المرسلين إلى المارستان (مستشفى الأمراض العقلية) ضيوفا على سراى (العباسية) أو (الخانكة) .

وهناك فى دارة (عالم الجنون) رأيت العدالة فى ربيع صباها ونضرة شبابها ، رأيت أحكام المجانين من مدير إلى حارس كلهم عادلون منزهون عن الميل والهوى والإجحاف بحقوق روادهم المساكين . ولما عرضت على الطبيب المتخصص فى فحص القوى العقلية أثبت سلامتى وكمال عقلى ، وردنى ردا جميلا .

وقدر لى ، بسبب هذا ، أن أسعد بعمل صحفى مركز ، جل شأن الله! ..

الخمر والشعر ...

ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة . نحن أبناء الأعيان ؟ .. بلى ! .. إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس منى ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون (شاعر البؤس) !! ..

ولا أكذبك أننا جميعا خلقنا لوجه الكأس والشيطان ، أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس !.. لقد استيقظ الساقى وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها ومافينا باخل أو ضنين كل على صديقه . لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية تخيلوا أنها ستكون «أغنية الجيل» وإذ فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتى عن نظم سطر واحد من بيت .

لقد حسبوا الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة . لا.. لا.. هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحى والإلهام . تناوبوا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى إلى سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتا أو أبياتا!.. وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حالة أشبه ماتكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب إلى قبض جنيهاتها الآلاف!.. وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التى غناها الموسيقار رياض السنباطى ومطلعها :

كلما أقبل ليل أو نهار

شاقنى العهد وشاقتنى الديارْ

وشجانى سحره هذا المزار

والليالى الخرد الغيد النضارْ

بعد طول البين هل يُجمع شمل ؟ ..

هـو نــار ، هـو وجــــــــد ، هـو قــــــــتلُ

يإحــــبــــيـــبى كـــيف أنجـــو كـــيف أسـلو؟

لقد نجحت فى نظم القطعة ، ولكنى نظمتها وأنا صاح غير مخمور !

الحق أن الخمر عدو للشعر ، ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى فى حالة السكر !

أنا وأمير الشعراء :

كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء ، وكان صاحبى فى المحنة شيخا معمما قضت الصدف العجيبة أن يشاركنى فى ليلى ونهارى، كلانا غريب ، وكلانا لا وطن ولا سكن ، وكلانا مهاجر بين أقطار الأسى لايجف له دمع إلا إلى مدمع. وإذ باكرنا هذا اليوم ظللنا نذرع الطرقات حتى مررنا على (صولت) إذ كان ندىّ أمير الشعراء (أحمد شوقى) ومجلى صحبه وحاشيته قلت لصاحبى : إن هنا من لو شكونا اليه لمسح دموعنا ! ... وقال : وى ! .. أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر؟ .. قلت : إنه أمير الشعراء شوقى بكِ !.. وعمدت إلى ورقة من أوراق جيبى الذى لازمته عاما على الأقل فكتبت فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال ... وقد تغرب : لا أهل ولا مال؟

وأرسلتها مع صاحبى مكررا توصيته أن يخاطب (الأمير) بالباشا إذ كان يهمنى أن أصل بأميرى إلى القمة من غير شك ، وماكاد شوقى يأتى على البيت حتى وقع تحته توقيعا ذكّرنى بأيام البرامكة وعطفهم على طائفة الشعراء والأدباء.

حادث بينى وبين طالب :

بدأ يوم (الجمعة) المولد الأحمدى مولد السيد البدوى ، ويحرص الآلاف من الريفيين على ارتياد الجامع الأحمدى فى أول يوم من أيام المولد المذكور ، وإن الناس لفى ضراعتهم إلى الله وزيارتهم لضريح (صاحب الفرج) كما يدعونه فى أيام المولد والرجبيات إذ استرعى أسماعهم صوت جهير يردد أبيات قصيدة فهرعوا إلى مبعث الصوت فأنشدتهم :

الحرب بالأبواب أين بنوكِ ؟.. ... يامصر ناديهم لكى يحموك؟..

يامصر ما الطليان كفؤك فاهجمى ... إن لم تكونى مُرّة أكلوك

والظاهر أن رأيى فى وجوب اقتحام المعمعة لم يصادف هوى فى نفس أحد طلاب المعهد الدينى فجرى هذا الطالب فى ثورة واختطف القرطاس الذى كتبت فيه القصيدة من يدى ومزّقه ، وهنا فارقت المنصة فى غضبة ملتهبة واختطفت غطاء رأس الطالب ومزقت شالها الأبيض الناصع البياض وقلت للطالب :- أنا لم أخسر شيئا لأنى أحفظ القصيدة وأما أنت فقد خسرت لأنك لاتحفظ غطاء رأسك!.. فتدخل الجمهور فى الحادث فرفضت الصلح مع الطالب إلا إذ كتب القصيدة بخط النسخ الجميل ، فأذعن الطالب وكتب القصيدة فانتهت المشكلة بسلام واعتنق الطالب رأيى فصفق الجمهور!..

أنا وزوجتى ...

ها أنذا أحرق البخور بين يدى زوجتى لأرقو عقوقها لى فى مصاحبتى إلى نزهة أو ارتياد إحدى دور السينما ، وكلما مثلت لها مباهج الشارع وزينت فى عينيها مناظر المجتمع وبشعت فى خاطرها وحشة البيت ووحدتها وانفرادها فى السكن زاد عقوقها وازورت عن هذا الأنس الموعود ، ورفضت ثم رفضت عابسة متطيرة من النزهة والسينما وما إليهما؟.. فلماذا هذا التطور فى رغبات السيدة وهى فى العقد الثانى من عمرها ؟ لقد كانت إلى عهد قريب صاحبة الاقتراحات الماكرة فى التنزه والفرجة على دور السينما والتمثيل ، وكنت إذا رفضت اقتراحاتها فى هذا السبيل ترمينى بالرجعية والردة عن الحضارة والتمدين وتضرب الأمثال بالقريبات والجارات اللواتى يتمتعن بحرية فضفاضة خارج البيت.

فما الذى أطفأ فى زوجتى هذه الجذوة المتحرقة إلى التمتع بلذاذات الفسحة ومتع الفرجة؟.. ما الذى خلقها خلقا جديدا وخلقنى خلقا جديدا فى هذا الموقف؟.. أصبحت أنا الراجى والمقترح وهى الأبية الرافضة!.. أوه... لقد علمت كل شئ وإنها لتُديل منى بحق إذا أصررت على وجوب مصاحبتها إياى ، إنها غاضبة على الشرف والكرامة وخشية العفاف على جرح كيانه وهدم عزته(١)

بلى!.. إن هنالك كلابا مسعورة تترقب المرأة فى كل مضطرب من أرض مصر وفى كل طريق وزقاق من العاصمة الكبيرة!.. مواقف يرسلون منها ألسن السفه وألفاظ الكنايات الوقحة والنكات السمجة ولاحيلة للمرأة أو لمن يصاحبها فى إدانة هؤلاء الملاطيع مادام القانون لايعاقب المعتدى إلا إذا كان من أثر اعتدائه أن يرى دم الضحية أو جراح المعتدى بجسمها البرىء؟.. هيهات!.. لقد شكونا غير واحد من هؤلاء فكان نصيبنا من الشكوى إهانة جديدة نسمعها من الضابط ثم يُعرض عنا فيفلت المجرم من بين يديه أقوى مايكون معتدٍ وقح على شتم الناس .

فهل آن أن تتدخل وزارة الشئون الاجتماعية فى هذا الموقف الجوهرى من حياتنا الاجتماعية؟!..

الشعر والنظم :

ها أنذا جالس بمقهى بالحىّ اللاتينى(٢) وقد هبت نفحات العصر فى ذلك الحى المملوء بالسحر تحمل بين خطرات النسيم روائح المباخر والمسك وليس يصاحبنى فى

---

(١) الحقيقة أن السبب الرئيسى فى امتناع زوجة الشاعر البائس عن مصاحبته فى التنزه هو ألم زوجته لرثاثة ثياب زوجها وثيابها فضلا عن سخرية بعض الأشقياء بالشاعر البائس وهو يسير مع زوجته

(٢) الحى اللاتينى اصطلاح كان يطلقه عبد الحميد الديب على حى (الحسين) .

جلستي إلا إبريق الشاي وأكوابه . أوه لقد أقبل هذا الشاب الأزهري الثقيل يحمل في يده ورقة ويلوح لي بها كما يلوح لي الدائن بصك مكتوب عليّ فيه بعض الدين . ترى ماذا حملت الورقة من هراء صاحبي وعبقرية جهله؟!.. لقد جلس بعد أن حياني تحيه أكثرها ألفاظ وأوصاف ضخمة لشخصي المنكوب!.. فرددت عليه بما اعتدت من نظرة مقشعرة وامتعاضة أغلقت عيني عن رؤيته ... قال : لقد أصبحت شاعرا ... اسمع يامترا! (يامترا!.. كذا يلقبني شيخنا ساسان!..) قلت في نفسي : سمعت الرعد يا (....) وأظهرت له استعدادي لسماع إلهامه البليد قال :- إن فلانا شتمني ولكمني في صدري ... أي وربي .. فلم أجد بدا من هجائه!.. وتلا عليّ مطلع القصيدة وهو :

بغلٌ يريد الحرب كي يحظى بما   صنع الحمار مع الأسود الضاريه

فلم أجد بدا من استئذانه بضع دقائق أعود إليه بعدها . وإذا كان القارظان قد عادا فإني عدت إلى هذا الشاعر (البليغ)!..

ومثل هذا كثيرون ممن أغراهم الجهل بالشعر فنظموا وحطموا وذلوا وهم يظنون أنهم شعراء والعياذ بالله!..

نقد شاعر لشاعر :

إنما يداوى شارب الخمر بالخمر ، ولايفل الحديد إلا الحديد. فإذا انبرى شاعر لنقد قصيدة شاعر آخر فمن الغي أن ينقده بهذه الطريقة الخائبة التي يتعبدها النقاد الشرقيون وهي التصدي للألفاظ وأخذ المعاني والأغراض حتى كأنها خادمة للألفاظ والأسلوب!! ... الشعر ليس ألفاظا ولايمت إلى اللغة المشتركة إلا من حيث أداؤه . وإذن ينبغي أن يكون نقده بطريقة أخرى، فيتحدى الناقد الشاعر بنظم البيت نظما أوفى مما هو عليه من صياغة ومعنى وخيال، قال فلان كذا ، وأنا أقول كذا ، وللناس بعد هذا عقول ومدارك تظهر أفضلية أحدهما على الآخر .

السماجة والجسارة :

قلت لصاحبي وقد طالعني قبل مطلع الشمس في بدلة مهلهلة وطربوش درن وحذاء لاشك أنه توارثه عن أبي القاسم المشهور :

ماذا أقض مضجعك فباكرت مطلعك؟.. إني لأرى في عينيك الحمراوين ووجهك الأصفر المتقع كأنك طويت ليلتك في ترصد أحد النجوم حتى إذا سلم النجم إلى أبراجه عدت إليّ في هذه السحنة وتلك الثياب..!.. قال : بلى .. إنه لحق ... لقد طوفت بطرقات القاهرة من الأصيل إلى هذه الساعة ولقد دفنت في كبدي خلال هذا الليل

الكافر سهاما يكفى أحدها القضاء علىّ لولا أنى وطنت نفسى على احتمال المكاره!...

وكان صاحبى فى نعمة ضافية سابغة الكساء ، كان مدرسا بإحدى مدارس الفرير بمرتب لايحلم به أربعة أو خمسة من مدرسى الإلزامى ففوجئ بالفصل من عمله لا للسبب الذى يفصل به المدرسون أو تهوى به الكواكب أو تثور البراكين؟!

لابل إنه كما أعلم عنه ليس سمجا مداهنا!.. ومع أنه كاتب وشاعر فقد عجز عن نظم مقطوعة من المدح لهذا الأب الفريرى الفرنسى الذى يدير المدرسة!.. ولقد استطاع منافسه البكىء لأمرٍ ما أن يظفر بتجديد عقده عاما آخر بالمدرسة. ذلك بأن الشيطان دّرب نفسه القذرة على الضراعة والتفنن فى الذل والمسكنة ومشى مع المدير فى مراحل غروره يزوده فى كل مرحلة بقوة من النفحات الكاذبة والألقاب المزورة ، ثم يهبط تحت قدميه هبوطا لايرتضيه العم سليمان النوبى بواب المدرسة .

إنما ليست المسألة مسألة العيش والهناءة فى الحياة إلا رهينة هذه الصنعة : صنعة السماجة فمن أتقنها فهو العامل السعيد ومن عى عنها فهو العاطل الشريد!.. ولا أدرى أهذا هو اللون الذى يعنيه الشاعر الأول بقوله :

من راقب الناس مات هما　　وفاز باللذة الجسورُ

أم ليس إياه؟!.. فإن كانت الأولى فاللهم إن السماجة من مكارم الأخلاق!..

فى حضرة الخديو

كانت فترة مفردة حلوة تلك الفترة التى باكرت فيها الشباب تلميذاً بمدرسة (دار الدعوة والإرشاد) التى أنشأها التلميذ الأول للمرحوم الأستاذ الامام وهو المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) .

ولقد حال صغر سنى يومئذ دون إلحاقى بالقسم الداخلى حتى إذا زار المدرسة الخديو عباس حلمى قمت فى حركة جنونية وارتجلت فى صوت جهير مسموع :

مولاى إن المسلمين كما ترى　　ما بين مظلوم وبين مهان

فابتسم ثم أمر بإلحاقى بالقسم الداخلى ومنحنى ساعة قيمة بقيت معى مدخرة فى جيبى حتى فرّق بينى وبينها ... وكم فرقت الحاجة بين العزيزين المتحابيّن !

المراجع

١ - الدوريات :

١ - مجلة الصباح (١٩٣٤ - ١٩٤٣)

٢ - مجلة أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤)

٣ - مجلة المقتطف (١٩٣٥ - ١٩٤٢)

٤ - مجلة الرسالة (١٩٤٠ - ١٩٤٣)

٥ - مجلة الكشكول (١٩٢٧ - ١٩٣٢)

٦ - مجلة مسامرات الجيب (١٩٤٦ - ١٩٥٠)

٧ - مجلة الاثنين (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

٨ - صحيفة الوادى (١٩٣٢ - ١٩٣٤)

٩ - صحيفة الأهرام (١٩٣٩ - ١٩٤٣)

١٠ - صحيفة مصر الفتاة (١٩٣٨ - ١٩٣٩)

١١ - صحيفة فتى النيل (١٩٣٨ - ١٩٤٣)

١٢ - صحيفة «البلاغ» (١٩٣٥ - ١٩٤٣)

٢ - الكتب :

١ - دراسات أدبية/ عمر الدسوقى

٢ - مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب/ محمد رضوان - دار الهلال / ١٩٧٦

٣ - فيلسوف الصعاليك / محمد رضوان - مركز الراية / ١٩٩٩

٤ - عصر ورجال/ فتحى رضوان / مكتبة الأنجلو / ١٩٦٧

٥ - الشاعر عبد الحميد الديب/ د. عبد الرحمن عثمان / دار المعارف / ١٩٦٨

٦ - ذكريات باريس/ د. زكى مبارك / المكتبة التجارية ١٩٣٩

٧ - الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى/ د. يوسف خليف / دار المعارف .

٨ - تاريخ الشعر السياسى/ د. أحمد الشايب - القاهرة - ١٩٤٥

٩ - العقد الفريد/ ابن عبد ربه - القاهرة .

١٠ - ديوان الشنفرى/ القاهرة ١٩٣٧

١١ - ديوان عروة بن الورد/ بيروت

١٢ - الذين أدركتهم حرفة الأدب/ طاهر أبو فاشا / دار المعارف

١٣ - حكايات الشطار والعيارين/ د. محمد رجب النجار/ الكويت ١٩٨١

١٤ - علم النفس والأدب/ د. سامى الدروبى/ دار المعارف

١٥ - عبد الحميد الديب/ تأليف سيد عبد الحميد الوكيل/ رسالة ماجستير

الفهرس

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
وتر نافر وصعلكة مبدعة :		ثورة مظلوم	٨٧
فاروق شوشه........	١	موت الشيطان	٨٩
حكاية هذا الديوان :		فى غرفتى	٩٣
محمد رضوان	١١	كيف أعيش ؟	٩٥
سيرة حياة الديب	١٧	الحبل المنقطع	٩٦
القسم الأول الشعر	٥٥	حرمان	٩٨
البائس	٥٧	فى السجن	٩٩
الطلل الباكى	٥٨	السجن أحب إلىّ	١٠١
وصف راقصة	٦٠	سرقة لحافى !	١٠٣
دمع المنازل	٦١	شياطين الملائكة	١٠٥
بؤس الشرف	٦٣	فى قريتى	١٠٧
أباة الضيم	٦٥	وداعاً شبابى	١٠٩
فى وصف الحبيب	٦٧	حرب الأصدقاء	١١١
مصرع الحظ	٦٨	القدر المذل	١١٣
غنى الجار	٧١	بين السكر والصحو	١١٧
يارية الدار	٧٤	صرخة شاعر	١١٩
فى مأتم عرسى	٧٦	من أنا ؟	١٢١
عيد بؤسى	٧٨	صبر البائسين	١٢٣
فى الحانة المظلمة	٨٢	حنين	١٢٤
شم الكوكايين	٨٣	أين الدنيا ؟	١٢٦
لماذا البؤس ياربى ؟	٨٤	يارب.. أين رزق السماء ؟.	١٢٨

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
أجرة السكن	١٣٠	سهد الطوى	١٧٥
أجرة المنزل بين شاعرين	١٣٢	أنا وحرمانى	١٧٧
مناجاة حبيب	١٣٤	الباب الموصد	١٧٩
محنة بؤسى	١٣٨	شكوى الزمان	١٨١
ورقائى الذبيحة	١٤٠	أنشودة الظافر	١٨٢
طل الندى	١٤٢	إلى أكلى الذهب	١٨٤
العيد الحزين	١٤٥	شر المهالك	١٨٥
فى المستشفى	١٤٦	فى حانة «كركور»	١٨٦
أنا غريب	١٤٩		
ثورة بائس	١٥٠	**بين الهجاء والشكوى والفخر**	
نشيد الأمل	١٥٣	**مختارات مأثورة للديب**	١٨٧
قربان البؤس	١٥٤	البدر فى ليلة الغارة	١٩٦
شبابى البائس	١٥٧	بأى قوانين الحياة نداس؟	١٩٨
لماذا أعيش ؟	١٥٨	عيدى فى السجن	١٩٩
فى عالم الجنون	١٥٩	دنياى	٢٠٠
من الماضى القريب	١٦١	آخر الأناشيد	٢٠١
حسيب وحسيب	١٦٤	لماذا شقيت	٢٠٢
والناس فى مصر	١٦٥	من شاعر يموت إلى شاعر مات	٢٠٥
مداعبة	١٦٧	توبة	٢٠٨
أنا وقومى	١٦٩	أحزان العيد	٢٠٩
إنما الناس عبيد	١٧٠	العزيز الذليل	٢١٠
دع الشكوى	١٧٢	ركب السعداء	٢١٢
أين ليالينا	١٧٣	بؤسى وبؤس طه	٢١٣
خطبى	١٧٤	البلبل الذبيح	٢١٥
		معهد الموسيقى	٢١٦

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
هـات المدام	٢١٨	فـى المطـار	٢٥٧
ليتنا مثلهم	٢١٩	زيارة الهـرم	٢٥٩
أحزان الأسد	٢٢١	الفلاح البائس	٢٦١
جنة وصحراء	٢٢٤	ساعة فى الأوقاف	٢٦٣
النجوم	٢٢٦	إلى الإنجليز	٢٦٤
موت القمر	٢٢٧	إلى قوات الاحتلال الانجليزى	٢٦٥
الشعر الوطنى والسياسى		قتلتم الناس جوعا	٢٦٧
عرس المليك	٢٣٠	الجهاد	٢٦٨
حتى الرغيف فقدناه	٢٣١	فضائح التموين	٢٦٩
منع اللحم	٢٣٢	إلى الحرب	٢٧٠
بين الوطنية والفاقة	٢٣٣	فلسطين الدماء	٢٧٢
ثورة محروم !	٢٣٥	خلوا الكتابة للمدافع والظبى؟!	٢٧٣
الطائرة الساقطة	٢٣٦	تعست أمانى الحكم ...	٢٧٥
الضرير	٢٣٨	وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ..	٢٧٧
إذا جبن الشباب	٢٤٠	مالى وللحرب أصلاها وتصلانى	٢٧٩
التضحية	٢٤٢	الحرب الحرب	٢٨١
إلى أخوانى التاعسين ...	٢٤٤	إلى الجهاد	٢٨٣
بؤس الفلاح	٢٤٥	الخونة	٢٨٥
صوت الفقير فى الحرب المقبله	٢٤٦	أنا الشعب	٢٨٧
صيف القاهرة	٢٤٨	إلى السادة الوزراء	٢٨٨
رمضانيات الديب		حكومة الزنج	٢٩٠
أنا ورمضان	٢٥٠	غضبة فرعون	٢٩٢
البائس فى رمضان	٢٥٣	وصف معركة بحرية ...	٢٩٤
فى تحية رمضان	٢٥٥	بين تحتمس وفاروق	٢٩٧

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
حطم السجن	٢٩٩	أنا وزوجتي	٣٠٧
القوة حياة شعوب	٣٠٠	الشعر والنظم	٣٠٧
القسم الثاني : النثر		نقد شاعر لشاعر	٣٠٨
اعترافات الديب	٣٠١	السماجة والجسارة	٣٠٨
يوم من أيام المحنة	٣٠٣	في حضرة الخديو	٣٠٩
الخمر والشعر	٣٠٤	المراجع	٣١٠
أنا وأمير الشعراء	٣٠٦	الفهرس	٣١٢
حديث بيني وبين طالب	٣٠٦	محقق الديوان	٣١٦

محقق الديوان :

محمد رضوان

- ولد محمد محمود رضوان بالدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م
- حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م
- صحفى بدار الهلال - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر .
- يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية .
- من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت - أنيس منصور - أحمد عبد المجيد - إبراهيم عيسى - عبد العليم القبانى - د. مقداد يالجن - سعد حامد - كمال النجمى)
- له خبرة فى الصحافة الأدبية ، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» .
- من مؤلفاته التى صدرت :

١ - صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك .

٢ - مأساة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب .

٣ - شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت .

٤ - فيلسوف الصعاليك ، عبد الحميد الديب .

٥ - رحلتى مع القلم .

٦ - اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحى .

٧ - شاعر الأطلال ، ناجى .

٨ - شعراء الحب .

٩ - ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٣٢٩٦ / ١٩٩٩.

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 166 - 8)

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر حيث يعده النقاد أبرز شاعر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعراً فريداً . وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركه وتشرده فى الشوارع وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، كل هذا وغيره رسمه لنا الأديب بريشته المبدعة الخلاقة . فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى وعزفت لنا القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان فى شعرنا المعاصر.

فالكتاب يتناول سيرة هذا الشاعر المحروم من خلال شعره.

تصميم : عاطف عبد الحفيظ
المجلس الأعلى للثقافة

Bibliotheca Alexandrina
0494028